ورقة علمية

البيئة الاجتماعية الإسرائيلية لحرب الإبادة على قطاع غزة

إبراهيم عبد الكريم

تشرين الثاني/ نوفمبر 2024

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

جميع إصدارات ومنشورات المركز تعبّر عن رأي كتابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات 1

مقدمة 2

أولاً: خصائص المجتمع الإسرائيلي وتحولاته 3

ثانياً: التنشئة الإسرائيلية ونزع الشرعية عن الفلسطينيين 6

ثالثاً: مهمة تعبوية للمرويات التناخية في حرب الإبادة 12

رابعاً: ملامح البيئة الاجتماعية الإسرائيلية الجديدة 15

خامساً: هندسة القتل الحاخامية... ترابط وثيق بين الأسباب والنتائج 23

سادساً: تصريحات لشخصيات وازنة.. وقود لحرب الإبادة 28

سابعاً: وسائل الإعلام الإسرائيلية شريكة في حرب الإبادة 34

ثامناً: "لا يوجد أبرياء في قطاع غزة"!!.. شعار لتعميم القتل وتسويغه 41

تاسعاً: اعترافات بموت الضمير في المجتمع الإسرائيلي 43

عاشراً: تفسيرات للإبادة من عالم الوعي الصهيوني الزائف 46

أحد عشر: آفاق مسار الإبادة الإسرائيلية 49

خاتمة 52

البيئة الاجتماعية الإسرائيلية لحرب الإبادة على قطاع غزة

إبراهيم عبد الكريم[1]

مقدمة:

تؤدي البيئة الاجتماعية الإسرائيلية دور الحاضنة الرئيسية للاستراتيجية التي ينفذها الجيش الإسرائيلي في حرب الإبادة الجماعية في قطاع غزة، حيث توفّر تلك البيئة العوامل والظروف اللازمة للقدرات الذاتية التي توظَّف في هذه الحرب، بالتكامل مع القدرات التحالفية الخارجية، الأمريكية خصوصاً والغربية بوجه عام.

وتُشكّل مكوّنات تلك البيئة، البشرية والمؤسساتية والتفاعلية، وأنشطتها السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية وسواها، المحدّدات الرئيسية لعلاقات القوى في المحيط الإسرائيلي، الذي يُعدّ الدفيئة المناسبة لحرب الإبادة التي يشنها الجيش الإسرائيلي على الفلسطينيين وموطنهم، تحت إجماع ما يسمى "الدفاع عن النفس".

ولا ينتقص من مركزية هذا الإجماع وجود ظواهر هامشية تتعلق بالاحتجاجات الداخلية الضاغطة للتوصل إلى صفقة لاستعادة المخطوفين لدى المقاومة الفلسطينية، وبالانتقادات متعددة المصادر لطريقة إدارة الحرب، حرصاً على تجنب المزيد من الخسائر الإسرائيلية، وعلى إنقاذ صورة "إسرائيل" التي تلطخت بالممارسات الوحشية بحق الفلسطينيين. وفي الوقت ذاته، تقدم تلك الظواهر الهامشية مادة غنية لكشف طبيعة هذه الممارسات.

---

[1] باحث فلسطيني، مُقيم في سورية، متخصص بالشؤون الإسرائيلية وقضية فلسطين. عمل باحثاً متفرّغاً، منذ 1980، في مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية بدمشق. وترأس التحرير في هذه المؤسسة، 1994–2021. وقدّم محاضرات في مؤسسات أكاديمية وبحثية، داخل سورية وخارجها. وهو عضو اتحاد الكتّاب العرب: جمعية البحوث والدراسات، منذ 1995، وعضو اتحاد الكتّاب الفلسطينيين، منذ 1980. نُشر له 25 كتاباً، ومئات الأبحاث والدراسات.

تُعنى هذه الدراسة بتكوين مقاربة توثيقية تحليلية، لمجمل ما يتعلق بخصائص المجتمع (حيثما وردت يُقصد بها التجمّع) الإسرائيلي وتوجهاته وحراكاته الاجتماعية والدينية والدعائية، وسواها، بخصوص حرب الإبادة الإسرائيلية على قطاع غزة، وذلك استناداً إلى مصادر إسرائيلية أساساً، وهي مصادر تقتضي وضعها تحت الفحص، من حيث مصداقيتها ومراميها وما يترتب عليها، لأن فحصاً كهذا يسهم في زيادة المعرفة الدقيقة للمشهد الحقيقي للحرب العدوانية على الفلسطينيين.

أولاً: خصائص المجتمع الإسرائيلي وتحولاته:

تندرج الحرب التي يشنها الجيش الإسرائيلي في قطاع غزة في عداد الإفرازات المتتالية للمجتمع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين. ففي منظور علم الاجتماع التاريخي، سار الغزو اليهودي لفلسطين على مراحل ارتبطت بموجات من المهاجرين، شكلت اليشوف Yishuv (الاستيطان) اليهودي في البلاد، ببناه العملية والسياسية والاجتماعية، وسواها، تأسيساً لما يسمى "الدولة القادمة على الطريق"، التي قامت سنة 1948، بصيغة كيان نشأ بالمجازر.

وعلى امتداد السنوات اللاحقة، ظلت السمة اللصيقة بهذا الكيان إيغال الجيش الإسرائيلي باضطهاد الفلسطينيين وقتلهم، وضمناً في قطاع غزة، لأسباب تبدو للوهلة الأولى بسيطة، لكن التعمّق فيها يفضي إلى مشهد واسع يلخص كل مكوّنات المشروع الصهيوني، المادية والاجتماعية والثقافية والنفسية والعسكرية، وغيرها. وهذا أمر يستوجب استيضاح حقيقة الدوافع والاعتبارات لعمليات القتل الإسرائيلية، ليس فقط من حيث ظروف الميدان، بل، وهو الأهم، من ناحية طبيعة الأسس القائمة عليها، وتحديداً ما يتعلق بالمجتمع والهوية في الحالة الإسرائيلية.

من ناحية التأصيل النظري، يتعذّر إحصاء الإسهامات البحثية التي تناولت بالاستقصاء والتحليل المجتمع الإسرائيلي، من منظور الذات الذي يتعين عدم القفز فوقه، على الرغم من ما يشوبه من تحيّز ومغالطات وتبجحات. ولغرض هذه الدراسة، يأتي في قائمة أبرز الكتب الموسوعية الشاملة في هذا الخصوص، مؤلف في 4 مجلدات، تضمّن مختلف القضايا المتعلقة بالتاريخ، والأيديولوجيا، والظواهر الاجتماعية، ومسائل الدِّين والدولة، والشتات اليهودي، وتأثير الهولوكوست، وغير ذلك. في هذا المؤلف يدرس سامي سموحة Sammy Smooha סמי סמוחה (1941–...)، أحد أبرز كبار علماء الاجتماع الإسرائيليين، ومؤلف العديد من الكتب والدراسات، موضوع "التعددية الثقافية في المجتمع الإسرائيلي"، ويبين أن لهذه التعددية معنيين مختلفين، أحدهما تجريبي (أمبريقي אמפירית) يتعلق بواقع الثقافات المتعددة (المشاهدة والملاحظة والتجربة)، والآخر معياري يشير إلى الأيديولوجية אידיאולוגיה التي تدعم وجود ثقافات مختلفة في مجتمع واحد، وضمناً المكوّن العربي فيها.[2]

وفي سياق التعبير عن التغيرات التي طرأت على المجتمع الإسرائيلي، وضع باروخ كيمرلينغ Baruch Kimmerling ברוך קימרלינג (م رومانيا 1939 – ت القدس 2007)، وهو أيضاً أحد أبرز كبار علماء الاجتماع الإسرائيليين، كتاباً، أثار اهتماماً كبيراً لدى صدوره (2011)، بعنوان "نهاية حكم الأحوساليم= קץ שלטון האחוס"לים". وقد ركّب كيمرلينغ هذا المصطلح العبري، ومفرده "أحوسال" אחוס"ל، من كلمات "أشكنازي אשכנזי – علماني חילוני – (ساكن) قديم ותיק – اشتراكي סוציאליסט – قومي לאומי"، وذلك للتعبير عن الجماعة اليهودية التي أسست الدولة، ثم سيطرت على

[2] بحث في: مجموعة من المؤلفين، **عصر يهودي جديد: الثقافة اليهودية في العصر العلماني: رؤية موسوعية** זמן יהודי חדש: תרבות יהודית בעידן חילוני – מבט אנציקלופדי (منشورات كتر، 2007)، المجلد الرابع، ص 221–228، في: https://kotar.cet.ac.il/KotarApp/Viewer.aspx?nBookID=69569485#10.6751.6.default (باللغة العبرية)

قمتها وتحكمت ببنيتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وسواها، على مدى نحو ستة عقود.[3]

ثم راحت هذه الجماعة تشهد تغيرات في مكانتها، برصد كيمرلينغ، الذي أكّد في كتابه أن "الأحوساليم" راحوا يتضاءلون في المجتمع، ووصف الضعف التدريجي لسيطرتهم على جميع مجالات الحياة الإسرائيلية، ونشوء الفجوات داخل "الأحوساليم"، التي تطلبت في الواقع نوعاً من الوحدة بين الناس. وعلى الرغم من ذلك ظلت هناك صراعات كثيرة حول الهوية، وصلت إلى درجات عنيفة. وخلص كيمرلينغ إلى أن حكم "الأحوساليم" انتهى، لكنهم ما يزالون موجودين، ويسيطرون على الكثير من رأس المال، وعلى العديد من المهارات الاجتماعية والسياسية، لكن ظهرت إلى جانبهم وازدهرت مجموعات أخرى تعمل كأنداد لهم.[4]

على صلة بذلك، ظلّ سعي علماء الاجتماع الإسرائيليين إلى تكريس "الحالة الطبيعية" للمجتمع الإسرائيلي، يصطدم بحقيقة رسّختها الوقائع، هي أن خصائص هذه الحالة تتعلق بمجتمع مصطنع، وتنطوي على نمط لا يختلف كثيراً عن الأنماط الاستيطانية، وفي مقدمتها الثوابت التالية:

1. تتصف الجماعات السكانية الاستيطانية الإسرائيلية، التي جاءت من عشرات المصادر الإثنية، بالتعددية الاجتماعية والثقافية والسياسية، وهو ما ظلّ يدفع المقرّرين للعمل على تقليص الفوارق بين المنظومات الأيديولوجية والمفاهيم السياسية، ضمن ما يسمى "الاندماج الاجتماعي القائم على وحدة المصير" في "الدولة"، الذي تتكامل فيه أدوار القطاعات العسكرية والمدنية.

---

[3] باروخ كيمرلينغ ברוך קימרלינג، **نهاية حكم الأحوساليم** קץ שלטון האחוסלים (إصدار ليئور، كتر، 2001). (باللغة العبرية) انظر الطبعة العربية للكتاب في: **المجتمع الإسرائيلي، مهاجرون مستعمرون مواليد البلد**، ترجمة هاني العبد الله (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ومركز دراسات الوحدة العربية، 2011).

[4] ملخص: نهاية حكم الأحوساليم / باروخ كيمرلينغ סיכום: קץ שלטון האחוס"לים/ ברוך קימרלינג، موقع تكستولوجيا، في: https://textologia.net/?p=4313 (باللغة العبرية)

2. السمة الرئيسية لـ"إسرائيل"، ككيان استيطاني إحلالي، تتمحور حول وجود "ديموقراطية حصرية لليهود"، ذات تطبيقات في ميادين التشريع والحكم والقضاء وغيرها، تترابط فيها الأيديولوجيا مع ممارسة سياسات استعمارية عنصرية (يهودية وصهيونية) إزاء العرب في البلاد، استفحلت بسن "قانون القومية – إسرائيل هي الدولة القومية للشعب اليهودي" سنة 2018.

3. حصر التعامل مع الفلسطينيين في الضفة والقطاع عبر حكم إداري ذاتي تحت مسمى "السلطة الفلسطينية"، التي كانت من مخرجات اتفاقية أوسلو بين "إسرائيل" ومنظمة التحرير الفلسطينية (1993). ثم ما لبث قطاع غزة أن تخلّص من سيطرة هذه السلطة، وتطوّرت أوضاعه في منحى جديد.

في صلب هذه الثوابت الثلاثة، ظلت البيئة الاجتماعية الإسرائيلية موجَّهة سياسياً وأيديولوجياً، متضمنة "ثلاثة أنواع من القيم، هي: القيم الصهيونية – القيم اليهودية – القيم الغربية".[5]

ثانياً: التنشئة الإسرائيلية ونزع الشرعية عن الفلسطينيين:

يجدر بأي دراسة للبيئة الاجتماعية الإسرائيلية أن تتوقف مطولاً عند الدور الرئيسي للتنشئة العامة في تشكيل هذه البيئة، وعلى وجه الخصوص التنشئة العنفية (بهويتها الإرهابية الفاشية)، وفي علاقتها بالواقع الصراعي الذي نشأ في البلاد بين المواطنين الأصليين والغزاة المستوطنين الذي يتجلى أصلاً بحرب إسرائيلية لا هوادة فيها على الفلسطينيين، الذين لا يمكن إلا أن يواجهوها بما يتوفر لديم من قدرات وإمكانيات.

[5] سلمان ناطور، الثقافة في إسرائيل، ملحق فصل المقال الثقافي، الناصرة، 2001/8/31، ص 26. (نسخة ورقية)

لدى دراسة الواقع القائم، لا يمكن عزل تلك الحرب وأدواتها الفتاكة عن خلفية مجريات الأمور خلال عقود الصراع الماضية. ومن المعروف أن هذه الخلفية تتكون من مجالَيْن مترابطين؛ أحدهما أيديولوجي، يختزن المضامين العنصرية الصهيونية والتوظيف السياسي للموروث اليهودي، والآخر تنفيذي، يتمثل بقطع أشواط مديدة في اتجاه "تهويد فلسطين"، وفق عملية إجلائية إحلالية في غاية القسوة.

تنتمي مولّدات السلوك العنفي الإسرائيلي إلى هذين المجالَيْن، لا فرق في ذلك بين مكوّنات السجل التاريخي للممارسات الصهيونية وبين الأساليب الإسرائيلية المتبعة في الحرب الحالية على الفلسطينيين. وتشمل المنظومة التي تشكل الحاضنة العامة لهذا السلوك العناصر التالية:

1. طبيعة الدور الوظيفي للمشروع الصهيوني، وتناقضه العدائي مع المواطنين الأصليين والمحيط العربي عموماً.
2. التطلع إلى التوسع لاستكمال العملية الاستيطانية الإحلالية، القاعدة الأساس للمشروع الصهيوني.
3. هوية الدولة (الكيان)، حيث يصبح العنف ضرورة للجيب الإثني اليهودي، بشكل مترافق مع إشاعة مفهوم "القلعة المحاصَرة"، وضرورة التماسك والتصرف الحازم في مواجهة الخطر.
4. تصريف التنشئة الفاشية والعسكرة الجامحة للإسرائيليين، بما يجعل العنف مرجعاً ورمزاً لإثبات الوجود الإسرائيلي وحمايته.
5. ربط "الخبرات اليهودية التاريخية المؤلمة" بالتهديد العربي، مع محاولة "قولبة" الشخصية العربية وتنميطها لإباحة استعمال العنف ضدها.
6. الإحساس بالقوة الفائقة والانسياق وراء إغراءات استخدامها، وامتصاص عوامل التوتر الداخلي الجماعي، وإيجاد جو من الاطمئنان في المجتمع الإسرائيلي.

تستبطن هذه العناصر التي تؤلف بعض منطلقات العنف الصهيوني، تراكمات جرى فيها تجريد اليهودي من إنسانيته، بعزله عن سائر البشر الأسوياء، وتنشئته عنفياً بمقتضى عملية إيجاد الكيان العنصري الإسرائيلي والسعي لاستمراره.

بين كمّ هائل من المؤلفات الصهيونية التي شكلت مناهل لهذه التنشئة، منذ ما قبل تأسيس "إسرائيل" حتى الآن، يبرز كتاب ثيودور هرتزل Theodor Herzl–תיאודור הרצל "دولة اليهود = يودنشتات" (1896)، الذي تُرجم إلى العبرية لاحقاً، وصدر بطبعات عديدة، بعنوان "مدينات هيهوديم מדינת היהודים"، كمرجع أول تتغذى عليه الأجيال الصهيونية. ففي هذا الكتاب، وردت عبارات رفدت نظرة الإسرائيليين للفلسطينيين ولسبل التعامل معهم، وراحت تترجم عملياً خلال عقود الصراع اللاحقة، وفق المفاهيم العنصرية الاستعلائية والحاقدة.

وتحت عنوان "الخطة התוכנית"، وضع هرتزل سيناريو محدداً يشمل تشديداً على أنه:

> لا يتم تأسيس دولة الآن (1896) بالأسلوب ذاته الذي كان يستعمل قبل ألف سنة، فمن الغباء العودة بمستوى الحضارة إلى الوراء كما يقترح الكثير من الصهيونيين. فلنفترض على سبيل المثال أننا أُجبرنا على أن نخلي بلداً ما من الوحوش، يجب علينا ألا نقوم بهذا العمل وفقاً لأسلوب الأوروبيين في القرن الخامس، كأن نأخذ الرمح ونذهب كل على حدة للبحث عن الدببة، بل يجب علينا تأليف حملة صيد كبيرة، ومن ثم نجمع الحيوانات كلها ونلقي وسطها القنابل المميتة.[6]

وورد في كتاب هرتزل، الذي استُبدلت فيها بالطبعة العبرية كلمة فلسطين بتسمية "أرض إسرائيل"، كما يظهر في صورة النص العبري المرفقة، ما يلي: ""إيرتس يسرائيل هي مولادتينو ههيسطوريت = أرض إسرائيل هي وطننا التاريخي" الذي لا يُنسى. اسم أرض إسرائيل وحده سيظل صيحة لمّ الشمل

---

[6] أنيس صايغ (مشرف)، **الفكرة الصهيونية – النصوص الأساسية**، سلسلة كتب فلسطينية/21 (بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف)، 1970)، ص 118.

القوية لشعبنا". ثم تحدّث هرتزل عن إنشاء جدار في آسيا لحماية أوروبا، يكون بمثابة "شروت مشمار هحلوتس شل هتربوت كنيجد هبربريوت = حصن منيع رائد للحضارة ضد البربرية".[7]

ארץ־ישראל היא מולדתנו ההיסטורית אשר לא תשכח.
השם הזה בלבד יהיה תרועה כובשת בעזוז לקבץ את עמנו.
אילו הוד מלכותו השולטן היה נותן לנו את ארץ־ישראל,
יכלונו להטיל על עצמנו להביא לידי סידור גמור של כספי־
המדינה של תורכיה. לגבי אירופה היינו שם חתיכת סוללה
בפני אסיה, היינו עושים את שרות־משמר־החלוץ של התרבות
כנגד הברבריות. בתורת מדינה נייטראלית היינו מקיימים

ومما يُذكر أن كلمة "البربرية The barbarism / הברבריות"، التي وردت في كتاب هرتزل، هي صفة أُطلقت منذ زمن بعيد للشتم، وللدلالة على المتوحشين أو البدائيين أو غير المتحضرين أو الهمجيين، وارتبطت بالأشرار والقتلة وسافكي الدماء والذين لا أخلاق لهم. وبالمناسبة، كرّر رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu בנימין נתניהו استخدام هذه الصفة ذاتها في

[7] تيودور هرتسل תיאודור הרצל، **مدينات هيهوديم = دولة اليهود** מדינת היהודים (تل أبيب: قسم الشباب في الهستدروت الصهيوني מדור הנוער בהסתדרות הציונית، 1946)، ص 20. (نسخة ورقية) (باللغة العبرية)

وصف الفلسطينيين وعناصر المقاومة، عشرات المرات، خلال استقباله الزعماء الغربيين الذين تقاطروا لدعم "إسرائيل" بعد "طوفان الأقصى"،[8] وخلال خلال تصريحات له كثيرة لاحقاً.

وكررها نتنياهو في 2024/7/24، خلال كلمته أمام الكونجرس Congress الأمريكي بمجلسيه الشيوخ والنواب.[9]

كما وردت هذه الصفة ومرادفاتها في تصريحات عديدة للمستويات والأوساط السياسية والعسكرية والإعلامية الإسرائيلية. ولا شكّ أنه حين يشيع استعمالها في المجتمع الإسرائيلي بالمواضع والمعاني التي استخدمت فيها، يغدو جلياً كيف تسهم في توفير الوقود الأيديولوجي لآلة القتل الإسرائيلية. وتدخل في بنية هذا الوقود شعارات مثل "الانتقام" و"الثأر" و"الإمساك بالسيف". وحسب دراسة نوعية أنجزها رشاد الشامي، "ترددت هذه الشعارات كثيراً في التعبيرات الشعرية الصهيونية"،[10] التي تشرّبت بها عقول الناشئة اليهود على مدى عقود.

وكمثال، في قصيدة بعنوان "بقوة روحي" للشاعر الصهيوني شاؤول تشرنحوفسكي، المولود في روسيا سنة 1875، وهاجر إلى فلسطين سنة 1931، ثمة أبيات معبّرة أيديولوجياً عن قداسة العنف التي اتَّسمت بها القصيدة، التي يحفظها الناشئة اليهود، وعن الحل الصهيوني الوحشي الذي سوف يطبّق لاحقاً، ونصها:[11]

---

[8] المركز الإعلامي، مناسبات وخطابات، صفحات وتواريخ متعددة، موقع ديوان رئيس الوزراء الإسرائيلي، في:
https://www.gov.il/ar/departments/prime_ministers_office/govil-landing-page

[9] كلمة رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو أمام الكونغرس الأمريكي، موقع اليوتيوب، في:
https://www.youtube.com/watch?v=pQzwXPNrq_M (تسجيل بالصوت والصورة والترجمة)

[10] رشاد عبد الله الشامي، **الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية**، سلسلة عالم المعرفة 102 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1986)، ص 60.

[11] عبد الوهاب المسيري، **اليهودية والصهيونية وإسرائيل – دراسات في انتشار وانحسار الرؤية الصهيونية للواقع** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1975)، ص 192–193.

"يا سيفي! أين سيفي، سيفي المنتقم؟
أعطني سيفي لأنتصر على أعدائي..
أين أعدائي؟ لسوف أصرعهم
وأحطمهم وأقطعهم إرباً إرباً
سوف أقطع كالحاصد وأجتز جذورهم
وأجعل سيفي يشرب فخوراً من دمهم
وستستحم خطواتي في دماء الصرعى
وتدوس قدماي على شعر رؤوسهم
سأقطع من يمين وأحصد من شمال
فقد اشتعل غضبي، وصار جحيماً
أعطني سيفي، فلن أغمده مرة أخرى،
حتى أذبح كل أعدائي...".

ولكي تستقيم التنشئة العنفية الإسرائيلية مع متطلبات المشروع الصهيوني، كان من البديهي أن تنشأ فيها آليّة (ميكانيزم) ملخصها؛ النفي الصهيوني لوجود هوية وكيانية عربية موحدة للفلسطينيين، والتعاطي معهم كأفراد باستعلاء وتمييز عنصري وضغينة، ووصمهم بأقذع النعوت.[12]

اعتمدت هذه الآليّة منهجية محددة، هي شيطنة الفلسطينيين، حيث حفل الخطاب الصهيوني عنهم بكمّ ضخم من الأضاليل والصور النمطية السلبية، التي انطوت على أكاذيب ودعاوى وتشويهات متعمَّدة للحقائق، لعل من أبرزها: الغائبون (عدم وجود فلسطين وشعب فلسطيني في التاريخ)، والمتخلفون، والأغيار (الجوييم)، والأعداء الأزليون لليهود، وغزاة الأرض، والهامشيون، والطامعون.[13]

---

[12] للتفاصيل انظر: ريزا دومب، **صورة العربي في الأدب اليهودي، 1911–1948**، ترجمة عارف توفيق عطاري (عمّان: دار الجليل للدراسات والنشر، 1985)، ص 36–43.

[13] إبراهيم عبد الكريم، **تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية (دراسة ودليل)** (دمشق: منشورات اتحاد الكتّاب العرب، 2001)، ص 18–24. (عناوين فقرات)

وكثرت النعوت التي تُلصق بالفلسطينيين، المقتبسة من قواميس البيولوجيا والزيولوجيا والبكتريولوجيا؛ من سرطان في قلب الأمة، إلى حيوانات تدب على قدمين، إلى صراصير مسمَّمة في قنينة، إلى فئران مخدرة...إلخ.[14]

وساق سميح القاسم، الأديب الفلسطيني الراحل، بعض الصفات التي استخدمتها الدعاية الصهيونية للعرب والفلسطينيين، منها : رجل أشعث، وحاد النظرات، وغدار، ويخفي في ثيابه خنجراً رهيباً، ولا تكاد تدير ظهرك حتى ينقض عليك بطعنة نجلاء، ومتخلف، وقاس، وهمجي، وهوايته القتل، وسادي، وقاتل أطفال، وجبان، ورعديد، وكذاب، ومنافق، وقذر، وفظ، وساخط، ولئيم، وحقود،...إلخ.[15]

وفي التطبيقات العملية، أنتجت التنشئة العنفية توجهات وممارسات تشويهية منوالية مقصودة ضدّ الفلسطينيين، غدت شبيهة بطقوس اعتيادية للإسرائيليين، شعبياً ورسمياً، بفعل استمرارية الشحن النفسي والتعليمي والسياسي لهم.

ثالثاً: مهمة تعبوية للمرويات التناخية في حرب الإبادة:

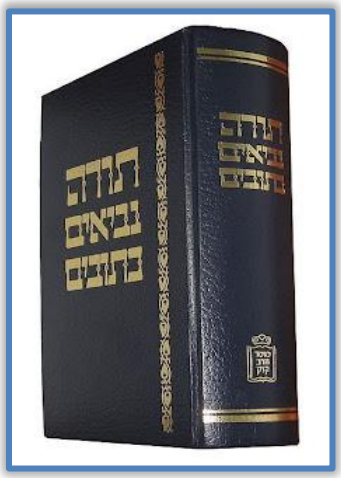

يُعدّ "التناخ" = العهد القديم أحد الروافد الرئيسية للتنشئة العنفية الإسرائيلية، فإلى جانب اعتباره "وثيقة ملكية" اليهود الحصرية للأرض التي تفرض عليهم الاستماتة من أجلها و"تطهيرها من الجوييم"، يتصدر "التناخ" قائمة المراجع الرئيسية في تنشئة اليهود وإدارة حياتهم، على اختلاف اتجاهاتهم، الدينية والتقليدية والإصلاحية، حتى التيارات

[14] سلمان ناطور، دور الكاتب في مكافحة العنصرية، عن العنصرية والتأتأة والمطر الخريفي، صحيفة الاتحاد، حيفا، العدد 42/149، 1985/11/8، ص 4.

[15] سميح القاسم، **أضواء على الفكر الصهيوني** (بيروت: دار القدس، 1978)، ص 155.

العلمانية تجد نفسها قسراً في "الدائرة التناخية"، عبر طرق شتى، في المدارس والإعلام والأنشطة الاجتماعية، وسواها.

لهذه الأسباب، لا يمكن القفز فوق ما ورد بشأن موضوعات الإبادة والقتل في "التناخ". ولعل من أبرز ما يلاحظه قارئه أنه اعتباراً من السفر الثاني فيه (الخروج)، تعج الأسفار بالنصوص التي تتضمن أوامر وأخباراً خاصة بهذا الشأن، وفق دوافع شتى؛ تلبية لدعوات "الرب"، أو سرديات لروايات عن الحروب.

ومما يحتويه "التناخ" من مقاطع وتفصيلات حول تلك الموضوعات، التي تتشرّبها أذهان الإسرائيليين، عموماً، والمتدينين منهم بشكل خاص، هناك عيّنات تفي بغرض تقديم مقاربة للواقع الماثل. وعلى الرغم من الإشكالية التي قد تنشأ جرّاء اجتزاء المقاطع (العيّنات) من سياقها، وجراء المواضع المتعددة التي ترد فيها، بيد أن صيغها الصريحة تفصح عن مدلولات جَمّة في إطار وحدة الموضوع. وفيما يلي بعضها:

- فَيَحْتَدِمُ غَضَبِي وَأَقْتُلُكُمْ بِالسَّيْفِ، فَتُصْبِحُ زَوْجَاتُكُمْ أَرَامِلَ وَأَوْلاَدُكُمْ يَتَامَى (خروج 24:22)
- فَالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذَكَرٍ مِنَ الأَطْفَالِ، وَاقْتُلُوا أَيْضاً كُلَّ امْرَأَةٍ ضَاجَعَتْ رَجُلاً (عدد 17:31)
- وَأَسَرَ بَنُو إسرائيل نِسَاءَ الْمِدْيَانِيِّينَ وَأَطْفَالَهُمْ، وَغَنِمُوا جَمِيعَ بَهَائِمِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ وَسَائِرَ أَمْلاَكِهِمْ، وَأَحْرَقُوا مُدُنَهُمْ كُلَّهَا بِمَسَاكِنِهَا وَحُصُونِهَا (عدد 31: 9–10).
- مَتَى أَفْنَى الرَّبُّ إِلَهُكُمُ الأُمَمَ الَّذِينَ سَيُوَرِّثُكُمْ أَرْضَهُمْ، وَسَكَنْتُمْ فِي مُدُنِهِمْ وَبُيُوتِهِمْ، فَأَفْرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ ثَلاَثَ مُدُنٍ فِي وَسَطِ أَرْضِكُمُ الَّتِي يَهَبُهَا لَكُمُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ لِتَمْتَلِكُوهَا (تثنية 19: 1–2).
- وَحِينَ تَتَقَدَّمُونَ لِمُحَارَبَةِ مَدِينَةٍ فَادْعُوهَا لِلصُّلْحِ أَوَّلاً. 11 فَإِنْ أَجَابَتْكُمْ إِلَى الصُّلْحِ وَاسْتَسْلَمَتْ لَكُمْ، فَكُلُّ الشَّعْبِ السَّاكِنِ فِيهَا يُصْبِحُ عَبِيداً لَكُمْ. 12 وَإِنْ أَبَتِ الصُّلْحَ وَحَارَبَتْكُمْ فَحَاصِرُوهَا. 13 فَإِذَا أَسْقَطَهَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ فِي أَيْدِيكُمْ، فَاقْتُلُوا جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. 14 وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ، وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ أَسْلاَبٍ، فَاغْنَمُوهَا لأَنْفُسِكُمْ، وَتَمَتَّعُوا بِغَنَائِمِ أَعْدَائِكُمُ الَّتِي وَهَبَهَا الرَّبُّ إِلَهُكُمْ لَكُمْ (تثنية 20: 10–14)

- أَمَّا مُدُنُ الشُّعُوبِ الَّتِي يَهَبُهَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ لَكُمْ مِيرَاثاً فَلاَ تَسْتَبْقُوا فِيهَا نَسَمَةً حَيَّةً، بَلْ دَمِّرُوهَا عَنْ بِكْرَةِ أَبِيهَا (تثنية 20: 16-17)
- (عن سقوط يريحو): فَهَتَفَ الشَّعْبُ، وَنَفَخَ الْكَهَنَةُ فِي الأَبْوَاقِ. وَكَانَ هُتَافُ الشَّعْبِ لَدَى سَمَاعِهِمْ صَوْتَ نَفْخِ الأَبْوَاقِ عَظِيماً، فَانْهَارَ السُّورُ فِي مَوْضِعِهِ. فَانْدَفَعَ الشَّعْبُ نَحْوَ الْمَدِينَةِ كُلٌّ إِلَى وِجْهَتِهِ، وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا. 21 وَدَمَّرُوا الْمَدِينَةَ وَقَضَوْا بِحَدِّ السَّيْفِ عَلَى كُلِّ مَنْ فِيهَا مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَأَطْفَالٍ وَشُيُوخٍ حَتَّى الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْحَمِيرِ (يشوع 6: 20-21).
- ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ وَاسْتَوْلَى عَلَى حَاصُورَ وَقَتَلَ مَلِكَهَا بِالسَّيْفِ، لأَنَّ حَاصُورَ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ زَعِيمَةَ جَمِيعِ تِلْكَ الْمَمَالِكِ. 11 وَقَضَوْا فِيهَا عَلَى كُلِّ نَسَمَةٍ بِحَدِّ السَّيْفِ، فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا حَيٌّ، وَأَحْرَقُوهَا بِالنَّارِ (يشوع 11: 10-11).
- فَاذْهَبِ الآنَ وَهَاجِمْ عَمَالِيقَ وَاقْضِ عَلَى كُلِّ مَالَهُ. لاَ تَعْفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ بَلِ اقْتُلْهُمْ جَمِيعاً رِجَالاً وَنِسَاءً، وَأَطْفَالاً وَرُضَّعاً، بَقَراً وَغَنَماً، جِمَالاً وَحَمِيراً (صموئيل الأول 3:15)
- وَأَمَرَ دَاوُدُ رِجَالَهُ فَقَتَلُوهُمَا وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمَا وَأَرْجُلَهُمَا، وَعَلَّقُوا جُثَّتَيْهِمَا عَلَى الْبِرْكَةِ فِي حَبْرُونَ (صمويل الثاني 12:4).
- كُلُّ مَنْ يُؤْسَرُ يُطْعَنُ، وَمَنْ يُقْبَضُ عَلَيْهِ يُصْرَعُ بِالسَّيْفِ، 16 وَيُمَزَّقُ أَطْفَالُهُمْ عَلَى مَرْأَى مِنْهُمْ، وَتُنْهَبُ بُيُوتُهُمْ، وَتُغْتَصَبُ نِسَاؤُهُمْ (أشعياء 13:15-16).
- لِهَذَا يُعْلِنُ الرَّبُّ الْقَدِيرُ: هَا أَنَا أُعَاقِبُهُمْ فَيَمُوتُ شَبَابُهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَيَهْلِكُ أَبْنَاؤُهُمْ وَبَنَاتُهُمْ جُوْعاً. 23 وَلاَ تُفْلِتُ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ (ارميا11:22-23)،
- أَهْلِكُوا الشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ (حزقيال 6:9)
- لاَ بُدَّ أَنْ تَتَحَمَّلَ السَّامِرَةُ وِزْرَ خَطِيئَتِهَا لأَنَّهَا تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلهِهَا، فَيَفْنَى أَهْلُهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَيَتَمَزَّقُ أَطْفَالُهَا أَشْلاَءَ، وَتُشَقُّ بُطُونُ حَوَامِلِهَا (هوشع 13:16).

مما يثير الدهشة في هذه العيّنات، التي تتماثل معها تكرارات عديدة في "التناخ"، أن سرديات القتل والتنكيل تؤسس مخيالاً في غاية القسوة، لدرجة يصعب على أي عقل قبولها، ولكنها تُروى كأمور عادية، بحيث يجد المتلقي اليهودي نفسه يستبطنها بالتعايش معها والاعتياد عليها، بل حتى مع تلذّذ بها يكاد يصير غريزياً. كما يُلاحظ أن تلك السرديات تركّز على حالة قتل الأطفال والنساء والشيوخ، لدواعٍ شتى، ينجم عنها كسر الحاجز بينها وبين الحاضر، ومن ثم يجري إسقاط النصوص الدينية سياسياً على الوضع الراهن، وتحويلها إلى أدوات فتاكة، واعتمادها كأيديولوجية تقوم بمهمة تعبويّة، تؤدي غرضاً محدداً في واقع الصراع مع الفلسطينيين والعرب عموماً، وهنا تُسخَّر المرويات التناخية في خدمة حرب الإبادة الإسرائيلية.

ومع أنه يتعذّر تحديد أبعاد هذا الواقع كميّاً، بالشواهد البحثية والعملية، إلا أن ثمّة إمكانية لتتبّع مرتسماتها الواضحة، فمخرجات التنشئة الإسرائيلية، وخصوصاً التغذي بمرويات القتل والإبادة "التناخية"، لا بدّ أن تظهر وتتجسد في الخطاب العام وفي الحياة اليومية على الدوام، ولا سيّما في المحطات الدامية للصراع. وعلى الرغم من أن تلك المرتسمات تغلغلت في البيئة الاجتماعية الإسرائيلية على مرّ العقود الماضية، إلا أن التجليات الجديدة لها تكثفت منذ بضع سنوات، مع تعاظم تيار التطرف اليميني في الساحة السياسية الإسرائيلية.

رابعاً: ملامح البيئة الاجتماعية الإسرائيلية الجديدة:

كمؤشر يوضح بعض سمات الواقع الإسرائيلي الراهن، تُبيّن قراءة الخريطة الحزبية الحالية، أن نتائج انتخابات الكنيست الـ 25 الأخيرة (في 2022/11/1)، عكست صورة التحولات في المجتمع اليهودي، بانزياحه إلى "اليمين المتطرف"، بحصول معسكر الأحزاب اليمينية والصهيونية الدينية والحريدية (اليهودية المتزمتة)، بالمصطلحات المتداولة، على 74 مقعداً من أصل 120، هي حالياً: الليكود Likud הליכוד بزعامة بنيامين نتنياهو Benjamin Netanyahu 32 مقعداً، والصهيونية الدينية Religious Zionism

הציונות הדתית بزعامة بتسلئيل سموتريتش Bezaalel Smotrich בצלאל סמוטריץ' 7 مقاعد، وقوة يهودية Jewish Power עוצמה יהודית بزعامة إيتمار بن جفير Itamar Ben-Gvir איתמר בן גביר 6 مقاعد، وحزب نوعم Noam נעם بزعامة آفي ماعوز Avigdor "Avi" Maoz אבי מעוז 1 مقعد واحد، وشاس Shas ש"ס بزعامة آرييه درعي Aryeh Deri אריה דרעי 11 مقعداً، ويهدوت هتوراه United Torah Judaism יהדות התורה بزعامة يتسحاق غولدكنوبف Yitzhak Goldknopf יצחק גולדקנופ 7 مقاعد، و"إسرائيل بيتنا ישראל ביתנו" بزعامة أفيجدور ليبرمان Avigdor Lieberman אביגדור ליברמן 6 مقاعد، وأمل جديد תקווה חדשה بزعامة جدعون ساعر Gideon Sa'ar גדעון סער 4 مقاعد (انشق في 2024/3/12 عن المعسكر الرسمي State Camp המחנה הממלכתי بزعامة بني جانتس Benny Gantz בני גנץ، وانضم إلى الائتلاف الحكومي في 2024/9/30، وعيّن وزيراً بلا حقيبة بمصادقة الكنيست Knesset، وعضواً في الكابينت Cabinet السياسي – الأمني، وفي هيئة استشارية أمنية مقلصة لنتنياهو).

وبسبب تحقيق أغلبية برلمانية لليمين واليمين المتطرف والحريديم، تمكّن نتنياهو من تشكيل حكومة جديدة، حيث حصل المعسكر الداعم له على 64 مقعداً، ثم أصبح 68 مقعداً بانضمام حزب ساعر إليه. وظلّ هذا المعسكر يعتمد على تماسكه في رسم سياساته الفاشية وتطبيقها، لا سيّما مع تسلّم بن غفير حقيبة ما يسمى "الأمن القومي"، وتسلّم سموتريتش حقيبة المالية وتعيينه أيضاً وزيراً في "وزارة الدفاع" إلى جانب يوآف جالانت Yoav Gallant יואב גלנט الليكودي.

كان من أبرز عوامل استمرار قوة "معسكر نتنياهو"؛ الحقن العنصري العام والخطاب الأيديولوجي والسياسي والتحريض المستمر ضدّ الفلسطينيين، ونسبة تكاثر الحريديم المرتفعة، و"المنجزات" التي حققها

الليكود بزعامة نتنياهو، في السياسة والديبلوماسية والاقتصاد، وحملاته الانتخابية التي تنسجم مع التوجهات الإسرائيلية العامة والتركيز على الهموم الأمنية والاقتصادية. وفي الوقت ذاته، واصلت أعراض "قانون القومية"، سنة 2018، التفشي في أوساط الجمهور الإسرائيلي الواسع، المغلول أصلاً، لكون هذا القانون جزءاً من التجسيد الطبيعي للحلم الصهيوني.

وفي ضوء متابعة الحراكات الداخلية، يمكن التقدير أن المجتمع الإسرائيلي بلغ نقطة اللا عودة في انزياحه نحو اليمين الديني المتطرف، بسبب؛ تركيبته الديموجرافية الحالية، والاتجاهات شبه الحتميّة لهذه التركيبة مستقبلاً، حيث تتعزّز نسبة الحريديم، على خلفية الزيادة الطبيعية في أعدادهم، فمثلاً يرجع صعود قوة "الصهيونية الدينية"، من ضمن أمور أخرى، إلى ارتفاع نسبة التأييد لها في أوساط الشباب الحريديم. وكان من مفاعيل ذلك، انتقال تنظيمات "اليهود المسيائيين יְהוּדִים מָשִׁיחַיִים" المسيحانيين، الخلاصيين، من الهوامش السياسية إلى مركز اتخاذ القرار.

وبتشخيص مناحيم هوفنونغ Menachem Hofnung מנחם הופנונג، بروفيسور في العلوم السياسية بالجامعة العبرية Hebrew University:

> يجري منذ كانون الثاني/ يناير 2023 [بعد انتخابات الكنيست الأخيرة]، انقلاب ديني قد يغيّر، في وقت قصير، طبيعة دولة إسرائيل تماماً، ورغم أن خطواته ليست كلها منسقة بين عناصر الائتلاف الحاكم، إلا أنه يهدف بوضوح لتحويل إسرائيل إلى دولة يتمتع فيها الجمهور المتدين بالاستقلال الكامل وتحديد طبيعة المجال العام، إذ إن إجراءات الثورة الدينية تحظى بدعم العديد من أعضاء الكنيست الليكوديين، المعروفين لدى الجمهور بأنهم يحافظون على أسلوب حياة علماني، ويمكن العثور على مظاهر الانقلاب الديني في مجالات عدة، بينها؛ التشريعات التي أقرتها الكنيست الحالية، ومقترحات التشريعات الدينية التي وُضعت حديثاً على طاولتها، مثل: تعزيز المؤسسات الدينية؛ وتوجيه ميزانيات ضخمة للتعليم الديني، وخاصة للتعليم الحريدي، والحصول على حسومات ومزايا للعائلات التي لديها العديد من أطفال طلاب المدارس الدينية الذين لا يعملون ولا يخدمون في الجيش.

وكشف هوفنونغ عن "محاولات المتدينين المستميتة للسيطرة على الأوضاع الاجتماعية وإنشاء المجتمعات الخاصة بهم في إسرائيل".[16]

في هذه الأجواء، يواصل التيار السائد في المجتمع الإسرائيلي تحوّله بسرعة فائقة نحو جموح القومجية الصهيونية والشعبوية العنصرية إلى مستويات غير مسبوقة. وهو ما دعا المحامي الإسرائيلي مايكل سفارد Michael Sfard מיכאל ספרד، بعد نحو أسبوعين من شنّ الحرب على قطاع غزة، وما رافقها من ويلات، للاعتراف قائلاً:

> بالنسبة لنا نحن الإسرائيليين، 75 عاماً من اللاجئين فرضناها على ملايين الفلسطينيين، و56 عاماً من الاحتلال الذي فرضناه على ملايين آخرين من الفلسطينيين، و16 عاماً من الحصار الذي فرضناه على سكان قطاع غزة، هذه السنوات أدت إلى تآكل مبادئنا الأخلاقية وتطبيع الواقع، حيث تكون قيمة البشر أقل، أقل بكثير. فقد اخترقت الوحشية روحنا، وأصابتنا بالدوار، في الطريق إلى جهنم أخلاقية.[17]

ويشير المحلل الإسرائيلي روغل ألفر الذي يتابع التغيرات إلى أن "الأفكار الجنونية صارت طبيعية في الخطاب الإسرائيلي"، منذ 7 تشرين الأول/ أكتوبر (طوفان الأقصى)، وفق أشكال شتى، منها:[18]

---

[16] مناحيم هوفنونغ מנחם הופנונג، هذا في الأساس انقلاب ديني זו בעצם הפיכה דתית، موقع يسرائيل هيوم، 2024/8/29، في: https://www.israelhayom.co.il/opinions/article/16346744 (باللغة العبرية)

[17] مايكل سفارد מיכאל ספרד، تحليق نحو الهاوية الأخلاقية في غزة טסים לעבר התהום המוסרית בעזה، صحيفة **هآرتس**، 2023/10/22، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2023-10-22/ty-article-opinion/.premium/00000018b-56ca-d77f-adef-76cf57830000 (باللغة العبرية)

[18] روغل ألفر רוגל אלפר، سبع أفكار مجنونة أصبحت سائدة مع الحرب שבעה רעיונות מטורפים שהתנחלו במיינסטרים עם המלחמה، **هآرتس**، 2024/1/8، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-01-08/ty-article-opinion/.premium/0000018c-e40c-db32-a9ff-f6bcf7060000 (باللغة العبرية)

- إن مئير كهانا Meir Kahane (العنصري الصهيوني الذي اغتيل في أمريكا سنة 1990 – الباحث) كان على حقّ؛ فكل العرب سفاحون ومغتصبون ومبيدون لليهود، ومن ثمّ إن كل الفلسطينيين يستحقون الموت.
- الإبادة الجماعية؛ يجب قتل عدد هائل جداً من سكان قطاع غزة عمداً، دون التمييز بين مقاتلي "النخبة" والأطفال الرضع والأمهات وكبار السن، بل يجب قتلهم جميعاً.

وفي مجال الرأي العام الداخلي، اعتاد الإسرائيليون تلقيم أنفسهم بأكاذيب مريحة ويريدون المزيد من هذا المُسكِر. ولأنهم فقدوا الرغبة في فهم العالم على أساس حقائق ومعطيات، فكل منهم صار يختار الواقع الذي يريحه. وبتأكيد الكاتبة الإسرائيلية إيريس ليعال: "هذا دمار بأبعاد توراتية، قتل جماعي لمدنيين بينهم أطفال، ومعظم الجمهور يعتقد أن هذا عقاب له ما يسوّغه".[19]

ويلخص يوسي ميلمان Yossi Melman יוסי מלמן، أحد المحللين الأمنيين الإسرائيليين البارزين في هآرتس Haaretz، الحالة الجديدة بتأكيده أنّ:

> المجتمع الإسرائيلي تحوّل منذ سنوات إلى مجتمع أكثر عنفاً، وجاءت الحرب في غزة لتحرّر إسرائيل من كل الكوابح، وإن الذي بدأ قبل عشرات السنوات، كاغتيالات مركزة، تطوّر إلى سياسة كاملة مع إصابة أبرياء بينهم أطفال ونساء لدى اغتيال كل إرهابي(...). هذا السلوك الوحشي والرغبة في الانتقام هو تقريباً طبيعي وبديهي، وليس بعيداً عما تمرّ به قطاعات واسعة من الجمهور الإسرائيلي، ليس فقط إزاء الفلسطينيين في المناطق (المحتلة)، بل أيضاً في خطاب الكراهية في

[19] ايريس ليعال איריס לעאל، تتمتع الحرب بعلاقات عامة ممتازة، لكن الحقيقة هي أننا خسرنا למלחמה יש יחסי ציבור מצוינים, אבל האמת היא שהפסדנו، **هآرتس**، 2024/3/31، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-03-31/ty-article-opinion/.premium/0000018e-9050-d0d3-a98e-d6ffb4f00000 (باللغة العبرية)

وسائل التواصل الاجتماعي ضدّ أجزاء واسعة من الجمهور الإسرائيلي، وأيضاً عبر سلوك الناس في حياتهم اليومية.[20]

وطبقاً لوصف آخر، كتبه جدعون ليفي Gideon Levy גדעון לוי، الصحفي الإسرائيلي في هآرتس المصنف كيساري:

> تتحول إسرائيل بسرعة إلى دولة تعيش على الدم.. وقد بزغ واقع جديد من عمليات القتل الجماعي والجرائم بحجم مختلف تماماً، هو إبادة جماعية، وجرت برمجة إسرائيل وتوجيهها بأن تتصرف كدولة تعيش على الدماء، ولم تجرّب إسرائيل قط بجدية طريقة أخرى، ونحن لا نؤمن فقط أن دولة كهذه يمكن أن تعيش إلى الأبد، بل نحن مقتنعون أنه بدون إراقة الدماء، لن يكون لها وجود.[21]

تتيح هذه القراءات ومثيلاتها الاستدلال على أن البيئة الاجتماعية الإسرائيلية الحالية، تتماهى مع السياسة التي رسمتها المؤسسة السياسية والعسكرية الحاكمة، بشن حرب الإبادة على قطاع غزة. وتأتي استطلاعات الرأي العام الإسرائيلي لتؤكد هذا التماهي بالأرقام، حيث أيّدت أغلبية الإسرائيليين الأهداف التي وضعت للحرب.

ففي تسعة استطلاعات للرأي، أجراها معهد دراسات الأمن القومي National Security Studies (INSS) המכון למחקרי ביטחון לאומי بجامعة تل أبيب Tel Aviv University، خلال الشهرين الأولين للحرب، استند كل منها إلى عيّنة نموذجية تمثل السكان اليهود البالغين 18 عاماً فما فوق،

---

[20] يوسي ميلمان יוסי מלמן، إسرائيل غير مبالية بـ"الأضرار الجانبية" للاغتيالات: حتى لو كان هو حياة المخطوفين ישראל אדישה ל"נזק אגבי" של חיסולים. גם אם הוא חיי החטופים، **هآرتس**، 2024/7/14، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-07-14/ty-article-opinion/.premium/00000190-b03a-dda3-adf9-f27fb50f0000 (باللغة العبرية)

[21] جدعون ليفي גדעון לוי، هل سنقود سيارة وقودها الدم؟ إسرائيل تتحول بسرعة إلى دولة تعيش على الدم הייתם נוסעים באוטו המונע בדם? ישראל הופכת במהירות למדינה החיה על דם، **هآرتس**، 2024/9/15، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-09-15/ty-article-opinion/.premium/00000191-f054-d1c1-adbf-f5f657320000 (باللغة العبرية)

وشملت 500 مشارك أسبوعياً، أظهرت نتائج استطلاع أُجريَ في 2023/12/3، أن أغلبية الجمهور (82%) تؤمن بأن ما يسمى "الشعور بالتضامن في المجتمع الإسرائيلي قوي جداً، ويزداد قوةً منذ بداية الحرب، وبرز هذا التضامن في التأييد الكبير جداً من الجمهور اليهودي لأهداف الحرب، كما حددها وأعلنها المستوى السياسي. وفي الاستطلاع الذي أجراه المعهد بين 16 و19 تشرين الثاني/ نوفمبر 2023، قال 96% من اليهود إنهم يؤيدون أهداف الحرب تأييداً كبيراً، و85.5% يؤيدونها". وبخصوص الثقة بمؤسسات الدولة، في الاستطلاع الذي أُجريَ في 2023/12/10، عبّر 90% عن ثقتهم الكبيرة بالجيش، وهذه الثقة الكبيرة، كما يقول محللو الاستطلاعات، "ناجمة عن الارتباط العاطفي بين الجمهور والجيش الذي يُعدّ قائداً للأمن القومي، ولذلك، يتجند الجمهور خلال الحرب لتأييده".[22]

وخلال الأشهر الستة الأولى للحرب، ظلّت الاستطلاعات تثبت أن أغلبية سكان "إسرائيل" تؤيّد طريقة إدارة الحكومة لها، وأيدت الأغلبية الساحقة عملية عسكرية واسعة في رفح، مع اللا مبالاة بالنقد على كثرة الضحايا المدنيين الفلسطينيين (وعدم تصديق أعداد الضحايا التي تنشرها وزارة الصحة في القطاع)، وظلت هذه الأغلبية ملتزمة بتأييد القضاء التام على حكم حماس (تسمية تشمل فصائل المقاومة الفلسطينية – الباحث) مهما يكن، وتؤمن بأن الضغط العسكري المتعاظم على قيادة حماس هو السبيل الأفضل للدفع قدماً بإعادة المخطوفين وليس المرونة في المفاوضات".[23]

ومع صمود المقاومة، وعجز الجيش الإسرائيلي عن هزيمتها وعن تليين موقفها بشأن تبادل الأسرى ووقف الحرب والشروط الإسرائيلية المتنوعة، أظهرت استطلاعات الرأي العام الإسرائيلي التي أجراها معهد دراسات الأمن القومي منذ بداية الحرب (بين 1/12 و2023/12/31، بالاستعانة بالعمل الميداني

---

[22] מئיר إلران מאיר אלרן، موران ديتش מורן דיטש، عنات شابيرا ענת שפירא، ريفكا ميلر רבקה מלר، خصائص المناعة الوطنية لإسرائيل في حرب غزة מאפייני החוסן הלאומי של ישראל במלחמה، موقع معهد دراسات الأمن القومي INSS، 19/12/2023، في: https://www.inss.org.il/he/publication/resilience-war (باللغة العبرية)

[23] سيفر بلوتسكر סבר פלוצקר، الجمهور في إسرائيل يؤيد السياسة – لكن ليس القائد הציבור בישראל תומך במדיניות – אבל לא במנהיג، صحيفة **يديعوت أحرونوت**، 2024/3/20، في:
https://www.ynet.co.il/news/article/yokra13846915 (باللغة العبرية)

لمعهد رافي سميث Rafi Smith Institute)، تآكل الشعور بالإنجاز مع استمرارها، والخوف من "أننا لن ننتصر في الحرب"، وهو ما له عواقب وخيمة على الأمن الشخصي في الحياة في "إسرائيل". كما أظهرت هذه الاستطلاعات صورة واضحة مفادها أن القيادة السياسية القائمة لا تتمتع بالثقة الشعبية اللازمة، وأن التصريحات البليغة عن "النصر المطلق" لا تؤدي إلا إلى تفاقم هذا الافتقار للثقة.[24]

وبالمثل، بيّنت استطلاعات الرأي التي أجراها "المعهد الإسرائيلي للديمقراطية The Israel Democracy Institute /idi המכון הישראלי לדמוקרטיה" انخفاض الثقة بمؤسسات "الدولة" وبقدرة الجيش الإسرائيلي على تحقيق النصر. ففي استطلاع أيار/ مايو 2024، اتضح وجود تقييم عام منخفض لأداء الحكومة منذ 7 تشرين الأول/ أكتوبر في إدارة القتال، وللطريقة التي تدير بها "إسرائيل" والجيش الإسرائيلي الحرب. وفي استطلاع تموز/ يوليو 2024، حدّد نحو ثلثي الجمهور الوضع العام بأنه سيء أو سيء للغاية.[25]

وفي استطلاع أجراه قسم الأبحاث في مؤسسة أول جوب AllJobs، على عينة من 779 عاملة ورجلاً من الإسرائيليين، نُشرت نتائجه في تموز/ يوليو 2024، ذكر أنّ 62% يفكرون في الانتقال إلى مكان آخر في ضوء الوضع الأمني في "إسرائيل". كما أظهر الاستطلاع شعوراً بخيبة الأمل تجاه "الدولة" والحكومة.[26]

---

[24] عوفر شيلح עפר שלח، عنات شابيرا ענת שפירא، عيديت شافران جيتلمان עידית שפרן גיטלמן، حتى النصر – سيوف حديدية עד לניצחון – חרבות ברזל، معهد دراسات الأمن القومي، منشور خاص، 2024/1/31، في:
https://www.inss.org.il/he/publication/victory/ (باللغة العبرية)

[25] مسوحات ورأي عام סקרים ודעת קהל، موقع المعهد الإسرائيلي للديموقراطية، في:
https://www.idi.org.il/tags/8122 ؛ وفي: https://www.idi.org.il/articles/54307؛ وفي:
https://www.idi.org.il/articles/55472 (باللغة العبرية)

[26] 62% من الإسرائيليين يفكرون في مغادرة إسرائيل: هذه هي الوجهات المفضلة 62% מהישראלים שוקלים לעזוב את ישראל: אלו היעדים המועדפים، موقع ice، 2024/7/18، في:
https://www.ice.co.il/research/news/article/1021177 (باللغة العبرية)

ما يستدعي الانتباه هنا، وجود دلالة ملموسة على متغيرين في البيئة الاجتماعية الإسرائيلية؛ الأول يتمثل بأن تداعيات التنشئة تتجلى بتأييد السكان لـ"الدولة" ومؤسساتها وقيادتها في الظروف العادية أو المقبولة لديهم. والثاني يتمثل بعدم رضاهم عن أي جهة، مدنية أو عسكرية، لا ترتقي إلى تحقيق تطلعاتهم ولا تستطيع الحسم في هذه الحرب.

خامساً: هندسة القتل الحاخامية... ترابط وثيق بين الأسباب والنتائج:

على تماس تام مع مكونات البيئة الاجتماعية الإسرائيلية الحالية، شغلت فتاوى الحاخامات مكانة بارزة في التعبير عن حدّين متلازمين ضمن معادلة الإبادة الجماعية، أحدهما مجيء هذه الفتاوى كنتيجة مصاحبة لمخرجات التنشئة العنفية في المجتمع الإسرائيلي، والآخر إسهام هذه الفتاوى في تأجيج لهيب العنصرية والفاشية والقتل الموجهة ضد الفلسطينيين.

على صعيد الحاخامية المدنية، خلال مدى زمني طويل، نشأ سيل جارف من الفتاوى يكرّس العلاقة الوثيقة بين الأسباب والنتائج. وضمن قائمة الكتب التي استقطبت الاهتمام، كتاب دموي، نُشر سنة 2009، وجرى تداوله على نطاق واسع، ورقياً وإلكترونياً، وتُرجم إلى لغات متعددة، وما يزال محط متابعة الأوساط الإسرائيلية والعالمية، عنوانه: "شريعة الملك: الأحكام بين اليهود والشعوب תורת המלך: דיני נפשות בין ישראל לעמים" (The King's Torah) (230 صفحة)، من تأليف الرابَيْن (الحاخامَيْن) يتسحاق شابيرا Yitzhak Shapira יצחק שפירא ويوسي إليتسور Yosef Elitzur יוסף אליצור، من "المدرسة الدينية عود يوسيف حاي = يوسف لا يزال حياً ישיבת "עוד יוסף חי"، في مستعمرة يتسهار Yitzhar יצהר بالضفة الغربية. وينشط مؤلفاه أيضاً في المستعمرات الأخرى بكثافة، وفي معاهدها الدينية الأكاديمية المسماة "يشيفات هسدير = مدرسة التسوية ישיבת ההסדיר"، المعترف بها من السلطات الإسرائيلية، كصيغة توصلت إليها المؤسسة العسكرية مع المجموعات التي ترغب

بالدراسة الدينية الصهيونية والخدمة العسكرية معاً، وفيها تُدمج الدراسة الدينية العليا مع الخدمة العسكرية الجزئية لنحو ثلاثة أعوام. ويذكر مؤلِّفا الكتاب أنهما لا يخفيان أي شيء، وأعربا عن أملهما أن يدرسه متعلمو التوراة في كل مكان.

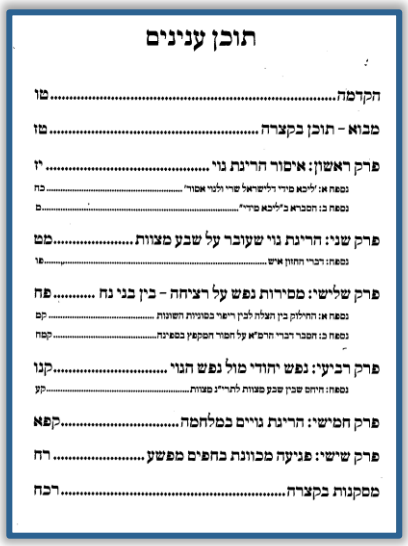

يتألف هذا الكتاب من ستة فصول، في كلٍّ منها فتاوى حول قتل "الجوييم = الأغيار" (ومفردها لفظ "جوي" الذي يترجم أحياناً بكلمة "أممي")، منها الفتاوى التالية، كأمثلة:

- في الفصل الثاني (ص 49): "قتل الأممي الذي يخالف وصايا نوح السبع لأبنائه **שבע מצוות בני נח**، وهي: البرّ، وستر العورة، ومباركة الرب، وإكرام الوالدين، ومحبة الآخرين، وتحريم سفاح المحارم، وتحريم القتل". (وسَيَرِد لاحقاً من تشملهم هذه المخالفة – الباحث).
- في الفصل الرابع (ص 159): "أينما وجد "جوي" يعرّض حياة إسرائيل للخطر يجوز قتله".
- في الفصل الخامس (ص 180): "يجوز في حالة الحرب قتل مقاتلي العدو ومن يساعدهم، وحتى من يدعمهم ويشجعهم. ويجوز، لمصلحة القتال، ضرب العدو حتى لو كان من الممكن أن يتضرر مدنيون أبرياء، مثل قصف المواقع العسكرية للعدو، حتى لو كان الناس يعيشون بالقرب من هذه المواقع ويمكن أن يتضرروا".

- في الفصل السادس (ص 208)؛ "يجوز قتل مواطني العدو إذا كان ذلك ضرورياً لمصلحة الحرب. كما يجوز في زمن الحرب قتل الأطفال الصغار أو الرضع غير اليهود أيضاً، على سبيل المثال عندما يكون واضحاً "أنهم سوف يكبرون على إيذائنا"".
- وفي أماكن متفرقة من الكتاب؛ وَرَدَت عبارات تنتمي إلى عالم العنصرية وهدر دم "الجوييم"، على غرار: "حياة الجوييم لا تساوي شيئاً"، "يجب عدم تصديق الجوييم"، "الجوييم مباحون لإسرائيل"، "من يسرق أرض إسرائيل يستحق القتل"، "يجب إبادة المدينة التي أسهم أفرادها في إلحاق الأذى بإسرائيل"، "يجوز قتل كل الشهود على قتل إسرائيل للجوييم"...إلخ.[27]

كحالة تطبيقية لذلك، كتب المؤلفان مقالاً، بعد نحو عام من العدوان الإسرائيلي المسمى "الرصاص المصبوب = عوفيرت يتسوكاه עופרת יצוקה"، جاء فيه:

> بالنسبة للظروف القائمة اليوم في غزّة (سنة 2009)، عندما يختبئ المقاتلون ضدنا بين السكان مع سبق الإصرار؛ طبعاً من أجل إنقاذ حياة يهود، في الجبهة الداخلية وخط المواجهة، يُسمح بالاعتداء على السكان الذين يدّعون "أبرياء" ويصنفون بأنهم معتدون، حيث أن غالبية عرب قطاع غزة يدعمون بأشكال مختلفة قتل اليهود، ويشجعون رجال العصابات الذين يعتدون على يهود (لا فرق إن كانوا م. ت. ف، حماس، أو منظمات إرهابية أخرى من أي نوع كان). والذي يشجع ويدعم أولئك الذين يقتلون يهوداً أو يعتدون عليهم ليس "بريئاً" بالمرّة، بالعكس، هو نفسه مُعتدٍ ومن الواجب قتله لتجنّب ضرره. كما يتعين الاعتداء على السكان (العرب) لكي يُمنع الاعتداء على يهود.. وحتى عندما يكون الصدام بين الجوييم؛ في حال قيام القاتل بأخذ

---

[27] يتسحاق شابيرا יצחק שפירא ويوسي إليتسور יוסף אליצור، **شريعة الملك: الأحكام بين اليهود والشعوب** תורת המלך: דיני נפשות בין ישראל לעמים، المدرسة الدينية "يوسف لا يزال حياً" חלק ראשון ، ישיבת "עוד יוסף חי (2009)، في: https://www.talyaron.com/wp-content/uploads/2011/07/%D7%AA%D7%95%D7%A8%D7%AA-%D7%94%D7%9E%D7%9C%D7%9A.pdf، الفصول والصفحات المذكورة في الاقتباسات. (باللغة العبرية) للاطلاع على ترجمة عربية للكتاب، انظر: **شريعة الملك.. شريعة قتل الأغيار** (مكتبة الشروق الدولية، كانون الثاني/ يناير 2011)، في: https://archive.org/details/20201207_20201207_1103

رهينة ويختبئ خلفها مسموح للمُهَدَد أن يقتل الرهينة كي ينجو. كما أنه في أثناء الحرب، يوجد أبرياء يساعدون القتلة، لذا يُسمح بقتلهم من أجل النجاة. وبخصوص الشكّ بإراقة الدماء، إن الجوييم على العموم مُتَّهمون بإراقة دماء يسرائيل (اليهود)، وفي الحرب يشكل هذا الاتهام إدانة، لذا من المستحسن أن يكون بين الجوييم قتلى في أثناء الحرب، لأنه من الواضح أنهم سيساعدون أعداءنا. وهناك أيضاً حكم للذين لا يقيمون الفرائض السبع التي فرضها نوح، لذلك لنا مصلحة بأن نحاكمهم ونقتلهم على مخالفاتهم، وفي واقع كهذا طبعاً الأمر مسموح.

ويذكر مترجم المقال أنّ من الافتراءات التي تُلصق بالفلسطينيين والعرب عموماً أنهم لا يقيمون هذه الفرائض أو بعضها على الأقل، لذا يتعين تطبيق حدّ القتل عليهم.[28]

وأطلق حاخامات مدنيون آخرون تصريحات يحثّون فيها طلابهم لتطبيق الفتاوى الحاخامية على سكان قطاع غزة. وكمثال: حرَّض الحاخام إلياهو مالي Eliyahu Mali הרב אליהו מאלי، رئيس المعهد الديني التوراتي شيرات موشيه Shirat Moshe ישיבת שירת משה في يافا، طلابه الذين سيخدمون في الجيش الإسرائيلي بعد تخرجهم، على ارتكاب المجازر، مؤكداً أنه بموجب الهلاخا Halakha (الشريعة اليهودية) يجب قتل جميع سكان قطاع غزة. وشدَّد مالي على أنه ينبغي على الجندي أن يتَّبع أوامر الجيش الإسرائيلي. ثم أشار إلى أن هذه حرب متسوفوت מצוות = وصايا. ووصف مالي الحرب التي تشنها "إسرائيل" على غزة بأنها "حرب دينية"، وقال: "إن القانون الأساسي في حرب دينية، وفي هذه الحالة في غزة، هو أنه "لا تُبقوا أحداً مِنها حيّاً" (سفر التثنية)، ومخربو اليوم هم الأطفال في العملية العسكرية السابقة الذين أبقيتموهم على قيد الحياة، والنساء هن عملياً أولئك اللواتي ينتجن المخربين". ورداً على سؤال حول قتل المسنين، زعم مالي أنه "يوجد فرق بين سكان مدنيين في قطاع غزة وسكان مدنيين في أماكن أخرى، ففي القطاع وفقاً للتقديرات 95-98% يريدون إبادتنا، ويجب التعامل معهم

[28] أحمد أشقر (تقديم وترجمة وتعقيب)، "فتوى حاخامية حول قتل الأبرياء،" مجلة **الأرض**، دمشق، السنة 37، العدد 2، شباط/ فبراير 2010، ص 37-38.

وفق مبدأ: إن لم تقتلهم؟ سيقتلونك". وعندما سُئِل عن الأطفال، أجاب: "نفس الشيء.. لا يمكنك أن تكون متذاكياً في التعامل مع التوراة.. اليوم هو طفل، وغداً يصبح مقاتلاً، ولهذا السبب فإن قانون غزة مختلف". وأسهب الحاخام مالي في الشرح: "ولا ينطبق هذا فقط على الصبي بعمر 14 أو 16 عاماً أو الرجل بعمر 20 أو 30 عاماً الذي يحمل سلاحاً في وجهك، بل أيضاً على جيل المستقبل، وعلى الذين ينتجون جيل المستقبل لأنه في الحقيقة لا يوجد فرق".[29]

وبالتكامل مع أعمال وتوجهات الحاخامات المدنيين، يقوم حاخامات الجيش الإسرائيلي، المنتشرون في كلّ وحداته عموماً، والذين يتّبعون الحاخامية العسكرية، بشرح أحكام "التناخ"، وخصوصاً في الموضوعات المتصلة بخدمة العسكريين ومواجهة العدو، ويقدمون إجابات على أي أسئلة يطرحونها. وقد برز دور هؤلاء الحاخامات في حرب الإبادة التي يشنها الجيش الإسرائيلي على قطاع غزة، لدى قيامهم في إطار مهماتهم بإلقاء محاضرات على الجنود. ومن الأمثلة التي كُشف النقاب عنها، والتي ركّزت فيها الصحافة الإسرائيلية على مقاطع مختارة من أقوالهم:

- كلام النقيب الحاخام عميحاي فريدمان Amichai Friedman עמיחי פרידמן، رئيس مركز تدريب لواء الناحال Nahal، الذي أثار ضجة بعد نشر تسجيل مقطع فيديو له، قال فيه: "عندما أنقل الموتى والأسرى والجرحى (الفلسطينيين)، ربما يكون هذا هو أسعد شهر في حياتي".[30]

---

[29] نينا فوكس נינה פוקס، رئيس مدرسة تسوية دينية في يافا: وفقاً لمبدأ الشريعة اليهودية – اقتلوا الجميع في غزة، حتى الأطفال ראש ישיבת הסדר ביפו: לפי העיקרון ההלכתי – להרוג את כולם בעזה, גם תינוקות، **يديعوت أحرونوت**، 2024/3/8، في: https://www.ynet.co.il/news/article/sy3bfhu6p (باللغة العبرية)

كلمات الحاخام مالي بالصوت والصورة، يوتيوب، في:

https://www.youtube.com/watch?app=desktop&v=HO6rlJ30t-U (باللغة العبرية)

[30] إليشع بن كيمون ويوآف زيتون אלישע בן קימון ויואב זיתון، حاخام لواء الناحال: "بدون الموتى هذا أسعد شهر في حياتي".. רב בא"ח הנח"ל: "בלי ההרוגים זה החודש המשמח בחיי"..، **يديعوت أحرونوت**، 2023/11/5، في: https://www.ynet.co.il/news/article/h1n5nwb76 (باللغة العبرية)

كما سُمع الحاخام ذاته يقول في الفيديو: "أرض الميعاد بأكملها ستعود، غوش قطيف (موقع استيطاني سابق في القطاع) صغير جداً مقارنة بما سنحققه. سنستأصل الأعداء وسندمر الجميع".[31]

- جرى خلال الحرب توزيع منشورات كتبها الحاخامان يجئال ليفنشتاين Yigal Levinstein יגאל לוינשטיין وتسفي تاو Zvi Tau צבי טאו من "قسم الوعي اليهودي" في الجيش الإسرائيلي، أرشدوا فيها الجنود إلى التشدد في القتل، وبيَّنوا فيها أن الحرب التي يشنها الجيش الإسرائيلي في قطاع غزة "تحمل بأجنحتها أخباراً عظيمة للإنسانية في النهاية".[32]

ثمة إذاً إسهامات إضافية للقائمين على نشر التعاليم اليهودية، يجري فيها تجنيدها في الحرب على قطاع غزة. والخاصية الرئيسية لذلك أنها تعزز ميول القتل لدى الجندي الإسرائيلي، بغطاء القداسة الدينية، فتجعل هذا الجندي يتمثلها، كما يتمثل الكائن الحي غذاءه، ويطمئن على أن ما يقوم به هو "عمل رسالي"، دون أي تفكير بصحته أو عدالته.

سادساً: تصريحات لشخصيات وازنة.. وقود لحرب الإبادة:

تساوقاً مع المنشطات الإسرائيلية المتعددة لحرب الإبادة على قطاع غزة، شهدت هذه الحرب تصاعداً في وتائر التحريض والدعم الصادرة عن العديد من الأوساط الرسمية الإسرائيلية، في الحكومة والكنيست وغيرهما.

---

[31] التصريح غير العادي للحاخام العسكري للجنود.. ההתבטאות החריגה של רב צבאי בפני חיילים..، موقع قناة ماكو mako، 5/11/2023، في: https://www.mako.co.il/pzm-soldiers/Article-6726233c18f9b81026.htm (باللغة العبرية)

[32] ديفيد يسسخاروف דוד ישישכרוף، في مواجهة متعة الحرب، يواجه جنود اليسار المتدين معركة أخلاقية מול חדוות המלחמה, חיילים מהשמאל הדתי ניצבים בפני קרב מוסרי، **هآرتس**، 2024/5/15، في: https://www.haaretz.co.il/magazine/2024-05-15/ty-article-magazine/.highlight/0000018f-7c03-d808-a9bf-ff1745530000 (باللغة العبرية)

فقد بعث رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو يوم الجمعة في 2023/11/3، برسالة إلى جنود الجيش الإسرائيلي، هنأهم فيها على عملهم، وتمنى لهم التوفيق خلال المناورة البرية، واستخدم فيها مقطعاً من "التناخ" له وقعه هو: "أذكر ما فعله بك عماليق".[33]

العماليق (أو العمالقة) هم في الموروث الديني اليهودي، المزعوم، بدو، ورد ذكرهم في مواضع كثيرة في "التناخ"، اجتاحوا العراق والشام ومصر، ووقفوا في وجه بني إسرائيل، بعد خروجهم من مصر بقيادة موشيه (Moshe (Moses (هكذا وفق المرويات التناخية ويقوم هذا الموروث بالحط من شأن العماليق وتشويه سمعتهم، وبالحض على النقمة والحقد عليهم، وإبادتهم.

وتصاعدت دعوات لوزراء لإبادة قطاع غزة، منها قول عميحاي إلياهو Amichai Eliyahu עמיחי אליהו، وزير ما يسمى "التراث الإسرائيلي"، في مقابلة مع إذاعة كول باراما Kol-BaRama في 2023/11/5، عن إسقاط القنبلة الذرية على غزة: "هذا أحد الاحتمالات"، وأضاف: "لا مكان لقطاع غزة".[34]

ودعا نيسيم فاتوري ניסים ואטורי، نائب رئيس الكنيست وعضو لجنة الخارجية والأمن الليكودي، إلى "محو قطاع غزة من على وجه الأرض".[35]

---

[33] آنا برسكي אנה ברסקי، نتنياهو في رسالة للجنود: "أذكر ما فعله بك عماليق.. سنهزم الشر" נתניהו באיגרת לחיילים: "זכור את אשר עשה לך עמלק, נביס את הרוע"، صحيفة **معاريف**، 2023/11/3، في:
https://www.maariv.co.il/news/politics/Article-1049593 (باللغة العبرية)

[34] الوزير إلياهو عن إسقاط القنبلة الذرية على غزة: "هذا أحد الاحتمالات" השר אליהו על הטלת פצצת אטום על עזה: "זאת אחת האפשרויות". קול–ברמה، موقع كول باراما، 5/11/2023، انظر: https://kol-barama.co.il (باللغة العبرية)

[35] انظر تصريح فاتوري ضمن تقرير: روعي روبنشتاين רועי רובינשטיין ونداف إيال נדב איל وإيتمار أيخنر איתמר אייכנר، اتهمت جنوب أفريقيا بالمحكمة في لاهاي: "الدمار في غزة هو احتفالية للجيش الإسرائيلي..." דרום אפריקה האשימה בבית הדין בהאג: "ההרס בעזה הוא חגיגה לצה"ל.. "، **يديعوت أحرونوت**، 2024/1/11، في:
https://www.ynet.co.il/news/article/r1mlmep00t#autoplay (باللغة العبرية)

وظهر فاتوري ذاته في مقطع على يوتيوب في 2023/12/26، بالصوت والصورة يقول فيه: "يجب حرق غزة...".[36]

وبإفادة عضو الكنيست موشيه سعدة Moshe Saada משה סעדה، من حزب الليكود، في مقابلة مع "القناة 14 רשת 14" العبرية يوم الثلاثاء في 2024/1/2: "أصبحت الدعوة لإبادة سكان غزة واسعة الانتشار". وقال سعدة: "عليك أن تبيدهم، وفي الكيبوتسات، يقولون لك دمرهم، حتى أصدقائي، الذين تشاجروا معي في المسائل السياسية، أخبروني: موشيه، من الواضح أنه يجب إبادة كل سكان غزة".[37]

وفي مؤتمر "العودة إلى غزة Resettle Gaza החזרה לעזה" في 2024/1/28، الذي شارك فيه آلاف الأشخاص، بينهم 27 وزيراً وعضو كنيست من الائتلاف الحزبي الحاكم، هلّل الحاضرون لمقطع الفيديو الذي قال فيه الجنود: "لا يوجد أبرياء في غزة".[38] وهي عبارة تعني آلياً أن حكم المدنيين هو كحكم المحاربين، أي القتل.

وخلال مؤتمر قطيف Katif Conference כנס קטיף، الذي نظَّمته صحيفة "يسرائيل هيوم Israel Hayom" في 2024/8/5، وشارك فيه وزراء وأعضاء كنيست وسياسيون وآخرون، أكد الوزير

---

[36] "يجب حرق غزة – أنا أقف مع هذا. مزقوا الإرهابيين".. عضو الكنيست نسيم فاتوري.. "לשרוף את עזה – אני עומד על זה. לקרוע את המחבלים".. ח"כ ניסים ואטורי..، يوتيوب، 2023/12/26، في: https://www.youtube.com/watch?v=_03-nwRpEz4 (باللغة العبرية)

[37] حين معنيت ويهونثان ليس חן מענית ויהונתן ליס، عضو الكنيست سعدة: كما هو واضح أن اليمين كان على حق اليوم الجميع يقول إنه يجب إبادة سكان غزة "כ סעדה: "כמו שברור שהימין צדק, היום כולם אומרים שצריך להשמיד את העזתים، **هآرتس**، 2024/1/3، في: https://www.haaretz.co.il/news/politics/2024-01-03/ty-article/.premium/0000018c-ce4f-ddba-abad- ceef477f0000 (باللغة العبرية)

[38] يوعناه جونين יוענה גונן، سيظل هناك وقت للترانسفير עוד יהיה זמן לטרנספר، **هآرتس**، 2024/1/30، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-01-30/ty-article-opinion/.highlight/0000018d-565e-d0fc-a9bd-5e5f05f70000 (باللغة العبرية)

سموتريتش، أن موت مليوني فلسطيني في قطاع غزة جوعاً "قد يكون عادلاً وأخلاقياً لإعادة الأسرى الإسرائيليين".[39]

ودعا أرييه كينغ Aryeh King אריה קינג، نائب رئيس بلدية القدس المحتلة، إلى دفن الأسرى الفلسطينيين من قطاع غزة أحياء، وذلك بعد انتشار صور اعتقال الجيش الإسرائيلي لعشرات النازحين شمال القطاع وتعريتهم. ووصف كينغ، عبر منصة X/تويتر، الأسرى الفلسطينيين بأنهم "نازيون"، وقال: "إن دفنهم أحياء هو الطريقة الوحيدة للتعامل معهم، لأنهم ليسوا إلا مجموعة من النمل".[40]

وبوجه عام، لم تعد الدعوات لإبادة قطاع غزة تقتصر على ناس عاديين، بل، كما يلاحظ مايكل سفارد، صارت تتردد بكثرة على ألسنة أعضاء كنيست من الحزب الحاكم ممن يَدْعون علناً إلى "نكبة 2"؛ حيث أمر "وزير الدفاع" جالانت بقطع المياه والغذاء والوقود عن مليوني إنسان، وقال يتسحاق هرتسوغ Isaac Herzog יצחק הרצוג، رئيس "الدولة": "إن جميع الغزيين مسؤولون عن جرائم حماس". ويعلق سفارد قائلاً: "في غزة، مع سكانها الـ 2.3 مليون نسمة، أكثر من نصفهم من الأطفال، لم ينجح رئيسنا في العثور على أي غزي، رجلاً أو امرأة أو طفلاً، غير مسؤول". وهكذا، يتابع سفارد، "تفقد القيادة السياسية والعسكرية أي كابح، وتشرعن أفكار المس الجماعي بالمواطنين وتجريد البشر الذين يعيشون وراء الحدود من الإنسانية، والرغبة في الانتقام، واتهام الجميع في الطرف الآخر، وإلقاء آلاف القنابل عليهم ومحوهم من فوق وجه الأرض".[41]

---

[39] سموتريتش في مؤتمر قطيف: "لن يسمح أحد بتجويع مليوني مواطن حتى الموت، على الرغم من أنه قد يكون صحيحاً وأخلاقياً، لكي يعود المخطوفون סמוטריץ' בכנס קטיף: "אף אחד לא ייתן לנו להמית ברעב 2 מיליון אזרחים, למרות שזה אולי צודק ומוסרי עד שלא מחזירים את החטופים"، موقع القناة الثانية عشرة N12، 5/8/2024، في: https://www.mako.co.il/news-politics/2024_q3/Article-f139b3e8f712191027.htm (باللغة العبرية)

[40] مسؤول إسرائيلي: يجب دفن الأسرى الفلسطينيين أحياء פקיד ישראלי: יש לקבור אסירים פלסטינים חיים، موقع ويب أنغا، 2023/12/9، في: https://he.webangah.ir/2023-12-09/news=24320 (باللغة العبرية)

[41] مايكل سفارد، تحليق نحو الهاوية الأخلاقية في غزة، **هآرتس**، 2023/10/22. (باللغة العبرية)

جيورا إيلاند

ومن الشخصيات ذائعة الصيت، التي انضمت إلى جوقة التصريح بإبادة سكان قطاع غزة؛ جيورا إيلاند Giora Eiland גיורא איילנד، لواء احتياط رئيس سابق لشعبة العمليات في الجيش، ثم لمجلس الأمن القومي National Security Council الإسرائيلي، الذي عط ف على دعوته لتدمير غزة وتحويله إلى مكان غير صالح للعيش فيه، تخصيص النساء الغزيات بالقتل، فتساءل ساخراً: "من هنَّ النساء الغزيات "المسكينات"؟ (هكذا للاستهزاء والإنكار – الباحث)، ويجيب بنبرة اتهام وإدانة لهن: "إنهن كلهن الأمهات والأخوات والزوجات لقتلة حماس، وهنّ جزء من البنية التحتية الداعمة للمنظمة". ويوسع آيلاند دائرة الاستهداف فيكتب: "عندما يقول المسؤولون الإسرائيليون في الإعلام: إما نحن أو هم، من الصواب تشديد السؤال من "هم""، ويحددهم آيلاند ""هم" ليسوا فقط مقاتلي حماس، بل أيضاً كل الموظفية المدنية، بما في ذلك مدراء المستشفيات ومدراء المدارس، وأيضاً كل السكان الذين أيّدوا حماس وهتفوا لها في 7 أكتوبر".[42]

وفي مقابلة معه، نُقل عن آيلاند قوله: "أهالي غزة مثل أهالي ألمانيا النازية. كل السكان يؤيدون الزعيم(...)". وعندما سُئل كيف يعيش مع أعداد عالية لأطفال قُتلوا في غزة، أجاب: "ما العمل؟ معدل الولادة في غزة عالٍ جداً، ومن ثم هناك الكثير من الأطفال".[43]

---

[42] جيورا آيلاند، لا مجال لأي تعاطف إنساني هذه حرب على حماس وأيضاً حاضنتها المدنية، صحيفة **الأيام**، رام الله، 2023/11/20، في: https://www.al-ayyam.ps/ar/Article/394464/register.php (نقلاً عن **يديعوت أحرونوت**)

[43] رفيت هيخت רויט הכט، جيورا آيلاند دعا لتجويع غزة، وخسر العديد من أصدقائه. هل يندم على ذلك؟ גיורא איילנד קרא להרעיב את עזה, ואיבד רבים מחבריו. האם הוא מתחרט?، **هآرتس**، 2024/9/20، في: https://www.haaretz.co.il/magazine/2024-09-18/ty-article-magazine/.highlight/00000192-047b-d1bc-a1ff-267f8dd50000 (باللغة العبرية)

ودعا حنان شاي Hanan Shai חנן שי، عقيد في الاحتياط وخبير في الاستراتيجية العسكرية والديبلوماسية في معهد مسجاف للأمن القومي والاستراتيجية الصهيونية Misgav Institute for National Security and Zionist Strategy. מכון משגב לביטחון לאומי ולאסטרטגיה ציונית، في مقابلة مع شبكة "كان Kan" في 2023/10/16، إلى عدم توقف الجيش الإسرائيلي في الحرب، لأنه "إذا تخلينا عن ذلك الآن فقد انتصر الطرف الآخر، والحرب هنا هي لأفراد الثقافة التي تقدس الحياة ضدّ الذين خرجوا من ثقافة الحياة".[44]

حتى في الأوساط الفنية الإسرائيلية، كان هناك من أشاد بحرب الإبادة، وكمثال قال المغني الإسرائيلي الشرقي إيال جولان Eyal Golan אייל גולן، الذي يُعدّ أحد أهم المغنّين الذين يخاطبون القاعدة الشعبية التقليدية لحزب الليكود، في لقاء أجرته معه "القناة 14" العبرية: "يجب مسح غزة تماماً عن وجه الأرض، وعلى الجيش الإسرائيلي عدم ترك إنسان واحد حيّاً هناك".[45]

وهكذا، من المسلّم به أن إسهام المقرّرين والشخصيات الوازنة وذات الحضور العام في إذكاء نار التحريض على القتل، ومؤازرة الجيش في مهمته، وحماية قادته من أي ملاحقة قانونية دولية، من شأنها أن توسع دائرة التأييد لمواصلة حرب الإبادة على الفلسطينيين.

---

[44] د. العقيد الاحتياط حنان شاي في مقابلة مع شبكة "كان": يجب تسوية غزة بالأرض.. ד"ר אל"מ במיל' חנן שי בראיון לכאן מורשת: "עזה צריכה להיות מושטחת"، מכון משגב לביטחון לאומי ולאסטרטגיה ציונית، موقع معهد مسجاف للأمن القومي والاستراتيجية الصهيونية، 2023/10/16، في:
https://www.misgavins.org/gaza-should-be-flattened (باللغة العبرية)
ونشرت المقابلة على موقع يوتيوب في:
https://www.youtube.com/watch?v=Iy3j3kph13c&t=26s

[45] يوعناه جونين יוענה גונן، إيال جولان يمثل محو الفلسطينيين من الوعي الإسرائيلي אייל גולן מייצג את מחיקת הפלסטינים מהתודעה הישראלית، **هآرتس**، 2024/8/20، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-08-20/ty-article-opinion/.highlight/00000191-6b1a-d8a8-a9fb-7ffa23000000 (باللغة العبرية)

سابعاً: وسائل الإعلام الإسرائيلية شريكة في حرب الإبادة:

انخرطت في الحرب الجديدة أعداد، يصعب حصرها، من الوسائل الإعلامية والدعائية، في الميادين الحكومية والعامة. وعملت "منظومة الهسبراه Hasbara = מערכת ההסברה" (الدعاية) الإسرائيلية الرسمية والمرتبطة بها بالعديد من لغات العالم، كأداة حربية تضليلية مضادة للرواية الفلسطينية والعربية، لتسويق المزاعم الإسرائيلية.

وشكَّلت تصريحات المسؤولين الإسرائيليين والناطقين الرسميين باسم الجيش والحكومة والأجهزة المختلفة مادة دعائية مهمة وخطيرة وذات وقع خاص في الخطاب الدعائي، حيال الداخل والخارج، على نحو قامت فيه هذه التصريحات بدور رديف للعمليات العسكرية العدوانية.

وقد اتّصف هذا الخطاب بالتركيز على مفردات وصور موجَّهة للمستوى الغريزي العميق لدى المتلقي، باستخدام مصطلحات مثل: "الحرب على البيت"، "حرب من أجل ضمان وجودنا"، "التهديد الوجودي لإسرائيل"، "حرب اللا خيار"، "حرب لا مفر منها فرضتها حماس". وتضمن هذا الخطاب بهتاناً يهين الفلسطينيين: "قتلة"، "إرهابيين"، "مخربين"، "مجرمين"، "دواعش"، "متوحشين"، "حيوانات بشرية"، "عدو خسيس"،...إلخ.

كما تبنّت غالبية المواد الصحفية الادِّعاءات الرسمية ودافعت عنها، وضخّت الدعاية الإسرائيلية، في وسائل الإعلام المحلية والدولية، كمّاً كبيراً من المواد التضليلية والتأنيبية الزاجرة لأي تعاطف دولي مع الفلسطينيين. وشنّت هجوماً وقحاً على الأمين العام للأمم المتحدة، وعلى شخصيات دولية انتقدت السلوك الإسرائيلي لخرقه القانون الدولي ومبادئ حقوق الإنسان. واستطاعت هذه الدعاية الوصول إلى الإسرائيليين، بنسب متفاوتة، واستجرّت استجابات متعددة، تبعاً لخصائص هذه الشرائح.

بين القرائن التي أثبتت أن الصحافة الإسرائيلية شريك في حرب الإبادة، وأن بعض الإعلاميين الإسرائيليين وصلوا إلى مراحل متقدمة من الدموية، يجدر التوقف عند بعض الأمثلة المشهورة:

- انفلت شاي جولدن Shai Golden שי גולדן، الصحفي المشهور في القناة العبرية 14، بالعديد من مقاطع الفيديو، بالوعيد بإبادة الفلسطينيين، وبالتهديد بالوصول إلى لبنان وإيران، وبالانتقام، لإعادة الشرق الأوسط إلى وضع يموت فيه العرب من شدة الخوف من اليهود. ففي شريط مصور في 2023/10/16، كان مما قاله: "يجب على الجيش أن يدمّر العدو، وليس مهماً من يُقتل بسبب ذلك.. لا تهمنا المحاكم الدولية ولا حقوق الإنسان.. نحن آتون يا غزة.. أنتم لا تعرفون كم سنذبح منكم وكم من المجازر سنرتكب.. كمية القتل التي سنقوم بها لم تشهدها الأمة العربية في كل تاريخها.. أنا أوضح لكم إذا اختلط الأمر عليكم.. أنا أبلغكم أن كمية القتل والمجازر لا يمكنكم تخيلها.. لقد جمعنا جيش الرب خلال خمسة أيام.. جيش الرب سيذيقكم المرّ.. هل تفهمون ما ينتظركم.. القتل الذي كان سابقاً هو لا شيء بالنسبة لما يحدث في المستقبل.. جيش الرب يخوض حربه التاريخية من أيام يشوع بن نون وما بعده.. سنضربكم بكل ما نملك.. هذه حرب دينية والرب إلى جانبنا.. سنأتي لتدميركم لتدميركم لتدميركم".[46]
- قال تسفي يحزقيلي Zvi Yehezkeli צבי יחזקאלי، المحلل الإسرائيلي في القناة العبرية 13 רשת 13: "كان ينبغي على الجيش الإسرائيلي قتل 100 ألف فلسطيني منذ بداية الحرب". وعلَّق البعض قائلاً "هكذا يفكرون، وهذا ما يريدونه في غزة".[47]
- كتب أتيلا شومفلبي Attila Somfalvi אטילה שומפלבי، المحلل في موقع يديعوت أحرونوت Ynet، الذي يعمل مستشاراً إعلامياً، منشوراً تبجحياً جاء فيه: "فلتُمحَ غزة! تعالوا الآن وحققوا

---

[46] شاي جولدن لمخربي حماس–داعش: "نحن سنصل إلى غزة ولبنان وإيران وسننتقم.. سنعيد الشرق الأوسط إلى وضع ستموتون فيه من شدة الخوف من اليهود.." שי גולדן למחבלי חמאס–דאעש: "אנחנו נגיע לעזה, ללבנון, לאיראן ולנקום.. נחזיר את המזרח התיכון למצב שתפחדו פחד מוות מהיהודים، صفحة القناة 14 على الفيسبوك، 2023/10/16، في: https://www.facebook.com/watch/?v=170459649451518 (باللغة العبرية)

[47] تسفي يحزكيلي يدعو إلى قتل 100 ألف من سكان غزة צבי יחזקאלי קורא להרוג 100 אלף עזתים، العين السابعة، يوتيوب، 2023/12/19، في:

https://www.youtube.com/watch?v=EhYq4FvzQWM (باللغة العبرية)

معي". ويذكر الكاتب يوعناه جونين معدّ التقرير الذي أورد هذا المنشور أن "الأمر يمثل ظاهرة أوسع بكثير، هي المحو الكامل للفلسطينيين من الوعي الإسرائيلي، التي توفر لها الدولة كل الدعم لمن يدعون إلى محو غزة، بل أيضاً تشيد أساساً بمن يقومون بمحوها فعلياً". ويؤكد المعدّ "أن النيابة العامة الإسرائيلية تجاهلت تماماً التصريحات الداعية إلى الإبادة الجماعية للفلسطينيين من جانب عشرات السياسيين، والعسكريين، والصحفيين الذين أوغلوا في خيالاتهم المرضية التي تتحدث عن الإبادة، والتسوية بالأرض، وتجويع وتعطيش سكان غزة بالكامل".[48]

- وظهرت حالات إعلامية موثَّقة تتضمن الاحتفاء بالقتل، كما فعل يانون مغيل Yinon Magal ינון מגל، مدير القناة 14 الإسرائيلية، ونافا درومي Nava Dromi נוה דרומי، المذيعة في القناة، اللذان يعتقدان أن إحراق البشر أحياء عبارة عن طريقة أُخرى لإحياء عيد لاغ بعومر ל"ג בעומר = عيد الشعلة اليهودي.[49]

وتصدّرت الإعلام الإسرائيلي الأبواق المُسخّرة للمسؤولين، حيث "يقرأ المراسلون والمقدمون ويرددون الرسائل المقدمة لهم من الأشخاص ذوي العلاقة، وينجرفون بسهولة بالحماسة، بدلاً من التحقق من صحة المعلومات وممارسة القليل من النقد، وبهذا يخدم الإعلام بالأساس رئيس الوزراء الذي يحاول بيع أوهام النصر الكامل".[50]

---

[48] يوعناه جونين، إيال جولان يمثل محو الفلسطينيين من الوعي الإسرائيلي، **هآرتس**، 2024/8/20. (باللغة العبرية)

[49] زهافا غالئون זהבה גלאון، حتى تحقيق الانتصار المطلق، لحماس עד לניצחון המוחלט. של חמאס، **هآرتس**، 2024/5/28، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-05-28/ty-article-opinion/.premium/0000018f-babb-df3d-abbf-bffba23a0000 (باللغة العبرية)

[50] يوعناه جونين יוענה גונן، بعد صواريخ حزب الله، افتتحت الاستوديوهات بضجيج كبير لتمجيد الضربة אחרי הטילים של חיזבאללה, באולפנים פתחו בהרעשה כבדה של האדרת מתקפת המנע، **هآرتس**، 2024/8/26، في: https://www.haaretz.co.il/gallery/television/tv-review/2024-08-26/ty-article/.highlight/00000191-8b11-d13a-ab93-dbb79e610000 (باللغة العبرية)

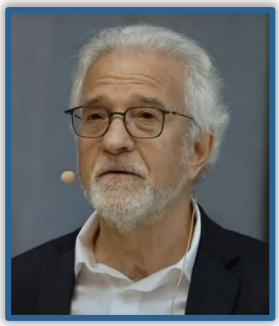

عومر بارتوف

وبشهادة عومر بارتوف Omer Bartov עומר ברטוב، بروفيسور إسرائيلي في دراسات المحرقة والإبادة الجماعية بجامعة براون Brown University الأمريكية، "هناك مج موعة من المراسلين العسكريين، يذهبون طوال الوقت إلى قطاع غزة، وهم مرتبطون بوحدات عسكرية مختلفة، ويتحادثون مع الجنرالات، ويقدمون بالضبط نسخة الجيش لما يحدث، ونادراً ما يطرحون أي أسئلة انتقادية".[51]

وبدا من المواد الإسرائيلية المنشورة أن السكوت والتعتيم في الإعلام الإسرائيلي على قتل المدنيين في قطاع غزة أثارا سجالات مكتوبة. فمثلاً، شهد نير غونتاج Nir Gontarz ניר גונטז'، صحفي في هآرتس، بأن "المحرّرين في قنوات التلفزة ووسائل الإعلام الإسرائيلية يعتقدون أن الإسرائيليين أغبياء، ولا يجوز لهم أن ينكشفوا على صور الأوضاع الإنسانية في غزّة". وقال: "أعتقد أن أكثر ما يخشى منه المحرّرون هو جمهور المشاهدين والقرّاء الإسرائيليين، فهذا الجمهور في معظمه لا يرغب في رؤية صور تظهر الغزيين بشراً، لئلا يثير ذلك انطباعاً عاماً في أوساط الرأي العام هنا وفي العالم بأنهم يعانون مثلنا".[52]

وقال أمنون ليفي Amnon Levi אמנון לוי، صحفي وكاتب مسرحي ومقدم تلفزيوني:

> قليلون جداً هم الإسرائيليون الذين شاهدوا حجم القتل والدمار والخراب في قطاع غزة، لأننا لم نعرض نحن الإعلاميين عليهم ما يكفي، ولأننا قمنا بإخفاء السكان المدنيين من تقاريرنا، وكانت النتيجة، بتأكيد تحقيق أجرته صحيفة وول ستريت جورنال WSJ [The Wall Street Journal]؛ شاشة منقسمة، فالعالم كله يرى حرباً واحدة في غزة، بينما ترى إسرائيل حرباً مغايرة تماماً.

---

[51] Isaac Chotiner , A Holocaust Scholar Meets with Israeli Reservists, site of *The New Yorker* magazine, 2/7/2024, https://www.newyorker.com/news/q-and-a/a-holocaust-scholar-meets-with-israeli-reservists

[52] نير غونتاج ניר גונטז'، لقد جلست في الاستوديو وكذبت. لقد كذبت على شاشة التلفزيون. "صحيح! هذا واضح!".. على الخط مع دانا فرون את ישבת באולפן ושיקרת. שיקרת בטלוויזיה. "נכון! זה ברור!".. על הקו עם דנה ורון، **هآرتس**، 2023/11/7، في: https://www.haaretz.co.il/magazine/2023-11-07/ty-article/.highlight/000001 8b-a9da-d0e2-af8f-f9fb0e3a0000 (باللغة العبرية)

وأضاف:

لقد قمنا بإخفاء صور الموتى والأطفال الجائعين وجموع النازحين من منازلهم في غزة، بل وقمنا أيضاً بتوفير البنية التحتية الأيديولوجية لتجاهلهم، وقد ساعدنا في تجريدهم من إنسانيتهم، وانتشرت في وسائل الإعلام مقولة "لا يوجد غير متورطين في غزة"، أي أن الجميع مذنبون، أي يجوز قتل الجميع. وبينما يرى العالم كل يوم صوراً جديدة صادمة أكثر عن الفلسطينيين، ويرى الجوع والموت والدمار، فنحن نكاد لا نراها، وبالنسبة لنا، هناك قصة واحدة فقط، هي الرواية الإسرائيلية.[53]

وكشفت عميره هاس Amira Hass עמירה הס، الكاتبة المشهورة في هآرتس المصنفة يسارية، عن أن "الإعلام الإسرائيلي يخفي معلومات وصوراً قاسية لأطفال يقتلون ويصابون في القطاع مع كل هجوم إسرائيلي. وترسخت في الحرب الحالية تقاليد تسمح بقتل جماعي للمدنيين، تبلغ عنها تقارير وشهادات من الميدان الفلسطيني، وتقارير صحفية مستقلة". وتلخص عميره هاس واقع الحال بالإشارة إلى أن "الجيش طبَّق لهذه الغاية مقولات محددة، أبرزها: الضرر الثانوي، بنك الأهداف التخريبي، مكان الإصابة في منطقة النار، مناخ عدم انضباط المستويات المتدنية لأوامر الأعلى، إيجاد مناخ عام في إسرائيل لتجاهل الوقائع، عملية متطرفة لنزع الإنسانية عن الفلسطينيين".[54]

ويجزم تحقيق استقصائي أجراه موقع "العين السابعة The Seventh Eye העין השביעית"، أنه لا يوجد في معظم وسائل الإعلام الإسرائيلية، أي أثر للبيانات الأساسية حول مصير النساء والأطفال وكبار السن الفلسطينيين الذين يموتون في الحرب، ومن يصرح مثل حجاي سيجال Haggai Segal

---

[53] أمنون ليفي אמנון לוי، يجب رؤيتهم חייבים לראות אותם، **يديعوت أحرونوت**، 2024/5/27، في: https://www.ynet.co.il/yedioth/article/yokra13938577 (باللغة العبرية)

[54] عميره هاس עמירה הס، فقط مَن يستهلك الإعلام الإسرائيلي وحده يمكن أن يصدق سذاجة الجيش بشأن قصف رفح רק מי שניזון מהתקשורת הישראלית לבדה יכול להאמין להיתממות צה"ל בנוגע לתקיפה ברפיח، **هآرتس**، 2024/5/28، في: https://www.haaretz.co.il/news/politics/2024-05-28/ty-article/.premium/0000018f-bba3-d0b7-abdf-ffb7be310000 (باللغة العبرية)

הגי סגל، محرر موقع مكور ريشون Makor Rishon מקור ראשון، بأن "هناك كارثة إنسانية والوضع يزداد سوءاً"، يُصنَّف بأنه "سمٌّ معاد للسامية"، كما كتب أورين بيرسكو Oren Persico אורן פרסיקו في هآرتس. وبالمثل، ترفض قناة 12 – N12 الإخبارية، التي يتابعها معظم الإسرائيليين، تقديم تقارير عن الوضع في غزة. وعلى موقع القناة 14 الإسرائيلية، تجري متابعة أعداد "للإرهابيين الذين قمنا بالقضاء عليهم"، ولا تفرق القناة أيضاً بين الأطفال والمقاتلين. ويخلص التحقيق إلى "أن للحكومة الإسرائيلية مصلحة سافرة في إبقاء مواطنيها جاهلين عندما يتعلق الأمر بالوضع الحقيقي في قطاع غزة".[55]

لم يقتصر السلوك الإعلامي الإسرائيلي على هذا، بل ساد "تكميم الأفواه"، لمنع نشر التقارير والآراء التي توضح بعض وقائع حرب الإبادة على قطاع غزة. وكما يقول يوعناه جونين Yoana Gonen יועה גונן، صحفي في هآرتس: "برز في إسرائيل الكثيرون ممن يسيرون على درب مكارثي، ولا يعرفون أنهم مكارثيون، لأن حملة التشهير التي يقومون بها ما تزال من دون زعيم، ومن دون اسم رسمي. وبدلاً من القيام بعمل مفيد في هذه الأيام الرهيبة، ينشغل المكارثيون الجدد بالتحريض الجامح ضدّ كل مَن يجرؤ على إثارة مسألة معاناة الأبرياء في قطاع غزة".[56]

وعلى المنوال ذاته، يقول جدعون ليفي: "إن التعبير عن صدمتنا إزاء القتل في غزة ممنوع، حتى إزاء قتل الأطفال الأبرياء والطيبين، ومن دون أي جدل؛ إنَّ الاحتجاج على قتلهم يُعدّ خيانة، فهم أطفال غزة، وبالنسبة إلى إسرائيل، هم ليسوا أطفالاً، وليسوا بشراً، تماماً مثل أهاليهم".[57]

---

[55] حين أجري חן אגרי، مكانة الصحافة الإسرائيلية ازدادت في تغطية حرب غزة העיתונות הישראלית מועלת בתפקידה בסיקור המלחמה בעזה، العين السابعة، 2024/5/20، في:
https://www.the7eye.org.il/519415 (باللغة العبرية)

[56] يوعناه جونين יועה גונן، أيضاً في المركز انضموا إلى المكارثية גם במרכז הצטרפו למקארתיסטים، **هآرتس**، 2023/10/17، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2023-10-17/ty-article-opinion/.highlight/0000018b-38fc-dd09-a1bf-3afccbba0000 (باللغة العبرية)

[57] جدعون ليفي، كيف لا نستطيع، **هآرتس**، 2023/11/5، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2023-11-05/ty-article-opinion/.premium/0000018b-9b6a-dbad-abfb-dbfe90a90000 (باللغة العبرية)

ويكتب جدعون ليفي في مقال آخر له: "الحرب في غزة هي علامة فارقة دموية. وتحاول وسائل الإعلام إقناعنا بأن هذا الأمر ضروري، ومن خلال حملات تجريد الفلسطينيين من إنسانيتهم وشيطنتهم، نجحت مجموعة وحشية وموحّدة من المعلقين في تسويق فكرة أننا يمكن أن نعيش إلى الأبد على الدم".[58]

وحين وجّه المحامي مايكل سفارد انتقاداً لتجاهل موت عشرات آلاف الأطفال والنساء الذين قتلوا في عمليات قصف سلاح الجو الإسرائيلي والمدفعية الإسرائيلية في غزة.[59]

انبرى المعلق ديمتري شومسكي Dimitri Shumsky דימיטרי שומסקי لطرح تساؤل عن أسباب هذا التجاهل والتحيز الشديد لوسائل الإعلام؟، ولماذا تمنع قنوات التلفزيون الإسرائيلية الجمهور عن النظر مباشرة في عيون أطفال غزة المليئة بالمعاناة، والأيتام والذين يعانون نفسياً وجسدياً، وتحطم كل عالمهم؟. وفي إجابته على ذلك، تعمّد شومسكي المراوغة بادِّعائه "أنّ تجنب عرض أبعاد قتل المدنيين ومعاناتهم في غزة، ينبع من الخوف من أن مشاهدة الإسرائيليين لهذه الصور الفظيعة قد تكسر الإيمان في قلوبهم عن، ما سمّاه، أخلاقية الجيش الإسرائيلي المقدسة، وتثير فيهم التحفظ من سياسة قتاله، ما قد يمس بالروح الوطنية في أثناء الحرب".[60]

في معرض الحكم القيَمي على نهج الدعاية الإسرائيلية خلال الحرب على القطاع، يؤكد جدعون ليفي بالحرف "أن الدعاية الإسرائيلية هي أداة غير أخلاقية، وأنّ كل مَن يكتفي بالصدمة التي تسببوا

---

[58] جدعون ليفي، هل سنقود سيارة وقودها الدم؟ إسرائيل تتحول بسرعة إلى دولة تعيش على الدم، **هآرتس**، 2024/9/15. (باللغة العبرية)

[59] مايكل سفارد מיכאל ספרד، عندما ينتهي كل هذا، سيكون لدى وسائل الإعلام الرئيسية الكثير من الشرح للقيام به כשכל זה ייגמר, לתקשורת המיינסטרים יהיה הרבה מה להסביר، **هآرتس**، 2024/5/20، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-05-20/ty-article-opinion/.premium/0000018f-95c1-d17a-a9df-95d1d06e0000 (باللغة العبرية)

[60] ديمتري شومسكي דימיטרי שומסקי، ربما تتجاهل وسائل الإعلام غزة لأن الجمهور سيكون سعيداً بالفظائع ואולי התקשורת מתעלמת מעזה כי בציבור ישמחו מהזוועות، **هآرتس**، 2024/6/1، في: ttps://www.haaretz.co.il/opinions/2024-06-01/ty-article-opinion/.premium/0000018f-c90b-d801-a3ef-f90b18010000 (باللغة العبرية)

بها لنا، ويتجاهل ماذا نفعل بهم منذ ذلك الحين، هو إنسان بلا أخلاق، وبلا ضمير". ويضيف: "الدعاية الإسرائيلية تقوم بعملية خداع، لأنها تسرد رواية لا تمثل الحقيقة الكاملة".[61]

وهكذا، زاوج النهج المركزي في الصحافة الإسرائيلية بين التأييد الصريح لحرب الإبادة في قطاع غزة، والتجاهل المقصود لعمليات القتل والتدمير الإسرائيلية وإكساء هذا التجاهل بغطاء من عدم الاكتراث. وفي كلّ ذلك لا يمكن إخراج هذا النهج من لائحة الإدانة، لا سيّما بسبب دوره الكبير في تشكيل التوجهات العامة في البيئة الاجتماعية الإسرائيلية.

ثامناً: "لا يوجد أبرياء في قطاع غزة"!!.. شعار لتعميم القتل وتسويغه:

حتى تبدو عمليات قتل الفلسطينيين في إطار مواجهاتهم ومعاركهم كمقاتلين يعملون ضدّ الجيش الإسرائيلي، جرت هيكلة المسألة بمنتهى البساطة بأنه "لا يوجد سكان مدنيون في قطاع غزة وأنهم ضالعون جميعهم في القتال". وهكذا أصبحت عبارة "لا يوجد أبرياء في قطاع غزة" شعاراً لتعميم القتل وتسويغه.

ومن النماذج التي سُجلت، منذ اندلاع الحرب، تصدّر إلياهو يوسيان Eliyahu Yossian אליהו יוסיאן، المحاضر والباحث من أصل إيراني في معهد مسجاف للأمن القومي، عناوين الأخبار، وحلّ ضيفاً دائماً في الاستوديوهات. ومما قاله في مقابلة مع القناة 14، بثت في موقعي معاريف Maariv

إلياهو يوسيان

[61] جدعون ليفي גדעון לוי، الفظائع في غزة– لا توجد وسيلة "للشرح" את הזוועות בעזה אין דרך "להסביר"، **هآرتس**، 2023/12/28، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2023-12-28/ty-article-opinion/.premium/00000 18c-ab18-d462-afbe-afdf6fc70000 (باللغة العبرية)

ويوتيوب YouTube في 2023/10/30: "لقد أضعنا وقتاً ثميناً، فالنظ رة العالمية الليبرالية العلمانية المبنية على قيم أخرى ليست مناسبة في الشرق الأوسط، لذلك نحن مخطئون في تعريف العدو لأن ليست حماس فقط هي العدو، بل كل غزة هي العدو". وتابع: "لا يوجد أبرياء في غزة، هناك 2.5 مليون إرهابي، لذلك ليس هناك أي معنى في "ضرب السطح"،[62] يقصد المقاتلين فقط.

وبرأي أفيعاد فيسولي Aviad Visoli אביעד ויסולי، محامي الحاخامية المركزية مجلس السنهدرين الجديد The New Sanhedrin:

> إن مدنيي قطاع غزة اختاروا حركة حماس لتمثيلهم، وسمحوا لها، بل ساعدوها، بحفر شبكة أنفاق تمتد إلى مئات الكيلومترات تحت منازلهم في جميع أرجاء القطاع، ويسمحون لها بتخزين الوسائل القتالية داخل منازلهم ومدارسهم ومساجدهم وعياداتهم وجميع مبانيهم العامة، بالإضافة إلى كونهم يسمحون لها بإطلاق الصواريخ في اتجاه إسرائيل من باحات منازلهم ومساجدهم، وإن مجزرة غلاف غزة، بوصفه، التي أشعلت فتيل الحرب، نفّذها الآلاف من مدنيي قطاع غزة، بعضهم من مخربي حماس(...)، ومنهم من يقاتلون في المعارك، يؤيدون المجزرة ويتفاخرون بها. وبعد أن قام الجيش الإسرائيلي باجتياح قطاع غزة، لم يبادر سكان غزة إلى التعاون مع الجيش، أو تسليم عناصر حماس والإبلاغ عن مواقع احتجاز المخطوفين، بالإضافة إلى كون جزء كبير من المخطوفين، الذين أعيدوا إلى إسرائيل، شهدوا بأنهم احتُجزوا في منازل سكان قطاع غزة.[63]

لم يكتفِ فيسولي بهذا لتجريم سكان قطاع غزة، بل بزعمه:

---

[62] إلياهو يوسيان في رسالة لا لبس فيها: "لا يوجد أبرياء في غزة، هناك 2.5 مليون إرهابي" אליהו יוסיאן במסר חד משמעי: "אין חפים מפשע בעזה, יש שם 2.5 מיליון טרוריסטים"، **معاريف**، 2023/10/30، في: https://www.maariv.co.il/news/viral/Article-1048546 (باللغة العبرية)

وموقع باتريوت – القناة الرسمية، يوتيوب، في: https://www.youtube.com/watch?v=MzDyZ5YBAYU (باللغة العبرية)

[63] المحامي أفيعاد فيسولي، في غزة لا يوجد "مدنيون غير ضالعين في القتال"، موقع القناة 7 "عروتس شيفع"، 2023/12/14، في: https://www.inn.co.il/news/623173 (باللغة العبرية)

يجب عليهم الاستسلام والتعاون مع الجيش ليثبتوا أنهم مدنيون، وما دام سكان قطاع غزة لم يرفعوا الراية البيضاء بعد، ولم يقوموا بطرد حماس من القطاع، ولم يتعاونوا مع الجيش الإسرائيلي في الحرب، فيجب تصنيف المدنيين كلهم داعمين للقتال، أو مساعدين لحماس، ويجب تعريف هؤلاء والتصرف معهم، بصفتهم أعداء للدولة، وأعضاء في حماس.

وباعتقاد فيسولي:

مع أن عناصر حماس يشكّلون نسبة لا تتجاوز 2% من سكان قطاع غزة، حتى لو تم قتلهم، فإن بقية السكان الـ 98% سيواصلون التخطيط للمجزرة المقبلة، وتنفيذ الهجمات الهادفة إلى قتل اليهود وتدمير إسرائيل، لذا يجب دعوة جميع المدنيين في قطاع غزة، إلى مغادرته إن لم يريدوا أن يتضرروا نتيجة الحرب، ويجب اعتبار كل مَن يبقى منهم مقاتلاً معادياً يتعين قتله".[64]

ضمن المعاني الدعائية الإسرائيلية الكامنة وراء الإصرار على أن "سكان قطاع غزة كلهم أعداء"، وهم مساعدون وداعمون لجهد "حماس" (المقاومة) القتالي، لا يخفى أن هناك تشجيعاً للجيش الإسرائيلي في ارتكابه الإبادة الجماعية للإنسان والمكان.

تاسعاً: اعترافات بموت الضمير في المجتمع الإسرائيلي:

على الرغم من أهوال وقائع القتل والمجازر والتدمير الشامل التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي في حربه على قطاع غزة، والتي استنكرها وأدانها الرأي العام العالمي قاطبة، غير أنه خلافاً لذلك، تفشّت مجدداً في هذه الحرب ظاهرة تَحَجُر المشاعر والأحاسيس وانعدام الضمير الإنساني في المجتمع الإسرائيلي إزاء معاناة الفلسطينيين، على غرار ما سجَّلته عقود الصراع الدامية، وخصوصاً المجازر المروعة بحق الفلسطينيين التي جرت خلال اغتصاب فلسطين سنة 1948 وما بعدها. بيد أنه، كما في محطات سابقة، كانت خلالها تقف أوساط إسرائيلية عند تلك الظاهرة أمام ضغوط الواقع، كذلك هذه المرة لم

[64] المرجع نفسه.

تستطع أوساط صحفية إسرائيلية معيّنة إغماض الأعين عنها لأسباب متنوعة (مهنية، وتنفيسية، وتعويضية، وتظاهرية، واستنكارية...إلخ)، وهو ما وفّر تلقائياً مادة إضافية مهمة تدين الاحتلال والمجتمع الإسرائيلي ككل.

فمثلاً، "كانت المشاهد من قصف مخيم النازحين في رفح (2027/5/27) مروّعة، ووصفها صحفي أجنبي بأنها "رؤية حقيقية للجحيم"؛ أطفال صغار مقطوعو الرؤوس وجثث متفحمة وحريق هائل التهم الخيام المتهالكة التي لجأ إليها المدنيون في المنطقة التي أعلنتها إسرائيل "منطقة آمنة"". وفي هذه الأثناء، كما يكتب الصحفي يوعناه جونين:

> في إسرائيل ثمة رؤية أخرى للجحيم، فهناك من يستمتع برؤية الأطفال المقطعين والمواطنين المحروقين. أطفال صغار تلتهمهم النيران، والجمهور في إسرائيل يحتفل، يحذف، يثرثر أو يتثاءب، هكذا يبدو جحيمنا. والمناسبات السعيدة هي أيام يُقتل فيها العشرات من الأبرياء وتكون جميع النكات مركّبة من أطفال موتى من الآخرين. وكما في "جحيم دانتي"، إن الجحيم الذي غرق فيه المجتمع الإسرائيلي يضم دائرة الرقص على الدم، ودائرة المنكِرين، صراحة أو ضمناً، وهناك يصرخ ويزمجر كل أولئك الذين عندما يرون الجثث والنار، ويدّعون على الفور أن هذه مقاطع فيديو دعائية مزيّفة، هذا ليس قصف للقوات الجوية ولكن "إطلاق صاروخي فاشل" (كما اخترع مراسل القناة 14، هيلل بيتون روزين Hallel Biton Rosen הלל ביטון רוזן)، ودائرة الذين يرون أن عدد القتلى مبالغ فيه، ودائرة من يقول لماذا أصلاً يوجد إرهابيو حماس في مجمع النازحين (...). وفي دائرة مجاورة، يقفز مشعوذو الكلام/ المسؤولون الحكوميون والعسكريون الذين يقومون بغسل الكلمات التي تبيّض قتل المدنيين. ويسارع الجيش الإسرائيلي إلى الطمأنة بأن الهجوم تمّ تنفيذه باستخدام أسلحة دقيقة وفقاً للقانون الدولي!! وفي هذه الدائرة يوجد ثرثارون وأوغاد يجدون طرقاً متذاكية لمحو معاناة الآخرين.[65]

---

[65] يوعناه جونين יוענה גונן، رفح تحترق والأطفال الصغار يشتعلون والجمهور في إسرائيل يحتفل ويثرثر ويتثاءب רפיח בוערת, פעוטות עולים בלהבות, והציבור בישראל חוגג, מקשקש או מפהק، **هآرتس**، 2024/5/28، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-05-28/ty-article-opinion/.highlight/0000018f-ba96-d0b7-abdf-feb6dada0000 (باللغة العبرية)

وتعبيراً عن الحقد المشتعل في المجتمع الإسرائيلي على الفلسطينيين، هناك من يفترض، بلسان جدعون ليفي، أنه "عندما نصل إلى هذا المستوى من التسبب بمعاناة ذلك العدد الكبير من الأطفال، نتوقع درجة من الصدمة، لكن هنا الحزن ممنوع، والرحمة أصبحت غير قانونية، والاحتجاج موجّه على مصير أطفالنا فقط، الذين لا يوجد مثلهم كما هو معروف، في الوقت الذي لا نحصي فيه مئات الآلاف من أطفالهم ولا نراهم".[66]

وفي آليّة نفسية وسلوكية لإعفاء الذات الإسرائيلية من ارتكاب الجرائم، ثمة من يلقي اللوم على الضحية:

> فالنقاشات الدائرة في إسرائيل، تجري على صعيدين؛ الأول، رفض البيانات التي تنشرها حماس، وثمة ادّعاء إسرائيلي بأنها أعداد مبالغ فيها، وأنها إذا خُصم منها قتلى أعضاء حماس، ستبدو النتيجة معقولة. والثاني، إلقاء المسؤولية بشكل مباشر على قادة حماس، لأنهم هم الذين تسببوا بالدمار والقتل. ولهذا في إسرائيل بعد 7 أكتوبر 2023 لا مكان لتأنيب الضمير.[67]

كيف يجري هذا التأنيب، طالما أنّ:

> إسرائيل خضعت لاستئصال كامل لما تبقى من ضميرها في 7 أكتوبر، بوصف جدعون ليفي؛ ومنذ ذلك الحين إسرائيل هي دولة منزوعة الدماغ. ولا توجد أي طريقة لوصف العملية التي مرت بها إسرائيل في الأشهر الأخيرة إلا كعملية انفصال عن الضمير، هذا الضمير الذي كان مريضاً منذ سنوات قبل ذلك، الآن هذا الضمير مات. ومن الآن فصاعداً، فقط نحن ولا أحد

---

[66] جدعون ليفي גדעון לוי، إسرائيل قتلت نحو 15 ألف طفل ولماذا تفاجأت بدخولها القائمة السوداء؟ ישראל הרגה כ-15 אלף ילדים. מה היא מתפלאת שנכנסה לרשימה השחורה?، **هآرتس**، 2024/6/9، في:
https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-06-09/ty-article-opinion/.premium/0000018f-f85f-d660-af9f-fdff59ca0000 (باللغة العبرية)

[67] جاكي خوري ג'קי חורי، في إسرائيل بعد 7 أكتوبر أصبحت حياة أربعة مخطوفين إسرائيليين تساوي مئات القتلى من سكان غزة בישראל של אחרי 7 באוקטובר, חיי ארבעה חטופים ישראלים שווים למאות עזתים מתים، **هآرتس**، 2024/6/10، في: https://www.haaretz.co.il/news/politics/2024-06-10/ty-article/.premium/0000018f-fe9a-d5ad-ad8f-fedb4ee10000 (باللغة العبرية)

غيرنا، من الآن فصاعداً فقط القوة ولا يوجد غيرها، لا الأطفال الذين يقتلون بالآلاف أو الأمهات الموتى؛ لا يوجد أي أمر يهم إسرائيل عدا ضحاياها وعقوبتها ومعاناتها وبطولتها. والعمى الذي رافق تحرير المخطوفين الأربعة كان الدليل على نهاية الضمير. ففي يوم تحريرهم قتل في مخيم النصيرات 274 شخصاً، وأصيب 698 شخصاً. لقد قالوا إنهم قتلوا بـ"قيمية" وإن عمليتهم كانت "جراحية"، هل القتل الجماعي هو أمر "قيمي"؟ إذا كان الأمر هكذا فكيف يبدو القتل غير القيمي؟! وكيف يبدو قتل الإبادة الجماعية؟![68]

عطفاً على هذه التعرية للدرك الأسفل الذي بلغه المجتمع الإسرائيلي في التعامل مع حرب الإبادة على قطاع غزة، يمكن الوقوف عند اعتذاريات قميئة تضيف إدانة أخرى له، تنطلق من عدم اعتراف هذا المجتمع بمسؤولية الجيش عن الجرائم التي يرتكبها في الحرب، وصرف النظر عنها بطريقة مخادعة.. كيف؟

عاشراً: تفسيرات للإبادة من عالم الوعي الصهيوني الزائف:

أسهمت التصريحات والمواقف والتحليلات الإسرائيلية إزاء حرب الإبادة على قطاع غزة بإماطة اللثام عن تجسيدات مكتملة للوعي الإسرائيلي الزائف، الذي يشكل النقيض الموضوعي للوعي الحقيقي، كمنظومة معرفية يتكامل فيها الفكر والشعور والعمل (أو العقل والعاطفة والسلوك). وتتسم هذه التجسيدات، كما تبرهن عليها الشواهد، بما يلي:

[68] جدعون ليفي גדעון לוי، لا شيء يهم إسرائيل سوى تضحياتها وعقوباتها ومعاناتها وبطولاتها דבר אינו מעניין את ישראל זולת קורבנה, עונשה, סבלה וגבורתה، **هآرتس**، 2024/6/13، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-06-13/ty-article-opinion/.premium/00000190-0db6-d5ad-ad93-2dff2ee00000 (باللغة العبرية)

- الفكر فيها ينطلق من إنشاءات خاصة وأحكام جاهزة، تتمركز حول الذات الإسرائيلية، وتحتكر دور الضحية، وتكيل الاتهامات للفلسطينيين.
- الشعور فيها ينطوي على ميول ذاتية وأهواء، وفق آليات دفاعية إسرائيلية نشطة في مواجهة إبادة الفلسطينيين.
- العمل فيها يقوم على جملة من الفعاليات الفردية والجماعية الإسرائيلية، وتسخيرها في الحرب على الفلسطينيين.

يمكن أن تُستَشف هذه السمات من التعليلات والتفسيرات التي يستجرها تساؤل من قبيل "ما الذي يتيح لأغلبية اليهود الإسرائيليين دعم التدمير والمحو الممنهج والجماعي لقطاع غزة، بكل ما فيه من عائلات وأطفال، ولا يشعرون بالصدمة؟".

في معرض الإجابة عن ذلك، تسوق الكاتبة عميره هاس عوامل مؤثرة، منها: التربية على مبادئ الإيمان المطلق بالقدرة الحصرية للقوة العسكرية على ضمان وجود وازدهار "الدولة الإسرائيلية"، في ظلّ سلب الشعب الفلسطيني حقوقه، واحتكار اليهود لمسألة المعاناة الناجمة عن توحُّش الآخر، واختيار عدم المعرفة والتجاهل للمشاهد القاسية التي لا تطاق، وأن الفلسطينيين "مخربون" بطبيعتهم، وأنهم "وُلدوا وفي دمهم كراهيتنا"، والاحتقار العنصري العميق للفلسطينيين للتبرير المعرفي والنفسي بمسألة "سحقهم بأقدامنا"، وإنكار تاريخ الفلسطينيين، وجذور وجودهم ما بين البحر والنهر، وتصنيفهم بأنهم "فائضون عن الحاجة".[69]

هم بذلك يتناسون، بإقرار كوبي نيف Kobi Niv קובי ניב، كاتب في هآرتس، "الحقيقة المؤكدة تماماً، التي تنفيها الغالبية العظمى من الإسرائيليين (نحو 99.7%، ولم يذكر الكاتب مصدر هذه النسبة)، بقوة وحزم وبكل الأبواق المرتبطة بها، بأن إسرائيل تأسست وتقوم على نكبة الفلسطينيين، على تهجيرهم

[69] عميره هاس עמירה הס، ما الذي يجعل كثيرين في إسرائيل لا يُصدمون من مقتل آلاف الأطفال (في قطاع غزة)؟ מה מאפשר לרבים בישראל לא להזדעזע מהרג של אלפי ילדים?، **هآرتس**، 2023/12/16، في: https://www.haaretz.co.il/blogs/shabahit/2023-12-16/ty-article-opinion/.premium/0000018c-738a-d798-adac-f7af51de0000 (باللغة العبرية)

وتدمير معظم منازلهم، وهم الذين عاشوا في هذه الأرض قبل أن نأتي نحن إلى إسرائيل لنبني فيها على حسابهم ومكانهم".[70]

ويبدو أن هذا النفي لتلك الحقيقة لا يكفي، فيدّعي آلون عيدان Alon Idan אלון עידן، كاتب في هآرتس، أن الموقف الإسرائيلي:

> لا علاقة له بالأخطاء الأخلاقية التي درجنا على إنكارها والتي رافقت قيام الدولة، ويطلق الفلسطينيون على هذا الإنكار اسم النكبة، بل إن الشعور بالذنب غير المكتوب، الذي يحرك عجلات اللا وعي، والذي يُترجم إلى ملامح وحشية، ليست سوى طريق ملتوية، فالشعور بالذنب يتحول إلى خوف، والخوف يتحول إلى عنف، والعنف يتحول إلى دمار، وهذا الدمار موجّه إلى الخارج، إلى أولئك الذين يهددوننا.[71]

وفي مسعى للتنصل من الجرائم التي ترتكبها "إسرائيل" بحق الفلسطينيين، يجري تحويل أنظار الإسرائيليين إلى ما يسمّى "المحرقة (الهولوكوست Holocaust)"، وطبعها بقوة في الوعي الجماعي:

> حيث يكبر الإسرائيليون على غسل أدمغة بأن المحرقة ومنع تكرارها هي أسباب وجود الدولة، وأن إحياء ذكرى المحرقة من خلال إيجاد وعي المحرقة يجب أن يظل حاضراً، ويشكل وجوده شرطاً لمنع وقوع محرقة أخرى. لهذا يجد اليهود في إسرائيل أنفسهم عالقين في كابوس أصبح حقيقة؛

---

[70] كوبي نيف קובי ניב، "لقد فعلتم من أجلنا، وسنفعل من أجلكم"، هذه هي التوراة بأكملها "עשיתם לנו נָה, נעשה לכם בָּה", זאת התורה כולה، **هآرتس**، 2024/8/5، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-08-05/ty-article-opinion/.premium/00000191-2144-dd06-a3f7-ab5f4ed10000 (باللغة العبرية)

[71] الون عيدان אלון עידן، نحن لا نخاف من إيران ولا من الفلسطينيين، بل نخاف مما ننكر أننا فعلناه אנחנו לא מפחדים מאיראן או מהפלסטינים, אלא ממה שאנחנו מכחישים שעשינו، **هآرتس**، 2024/5/23، في: https://www.haaretz.co.il/magazine/blacklist/2024-05-23/ty-article-magazine/.highlight/0000018f-a5ce-d476-a7df-e7ef0df70000 (باللغة العبرية)

الماضي يفرض نفسه عليهم. ويرى كل يهودي في إسرائيل نفسه أحد الناجين من المحرقة، الذين ينقلون هذه المكانة بالوراثة، وأن من حقهم التنكيل بأمة أخرى.[72]

هكذا إذاً وفق هذا التفسير وأشباهه، ثمة مسوّغات يتبناها المجتمع الإسرائيلي لقتل الفلسطينيين الذين ينطبق عليهم وصف "كبش فداء كلاسيكي"، لكونهم لا علاقة لهم بما تعرضوا له في أوروبا. ويجدر التأكيد على أن القتل الإسرائيلي ليس ناجماً عن بواعث اعتلالية أو مَرَضية (سيكوباتية Psychopathy)، لا واعية، في البيئة الاجتماعية الإسرائيلية، تستدعي التعامل معها معاملة القاتل المعتوه أو المختل عقلياً، بل إن متابعة أعمال الإبادة للفلسطينيين تؤكد أنها تجري بنوايا مسبقة، وتُنفّذ بكل قناعة وتصميم بكامل الوعي، مع مزاعم مقيتة وأكاذيب سافرة، تنتمي إلى عالم الوعي الإسرائيلي الزائف.

أحد عشر: آفاق مسار الإبادة الإسرائيلية:

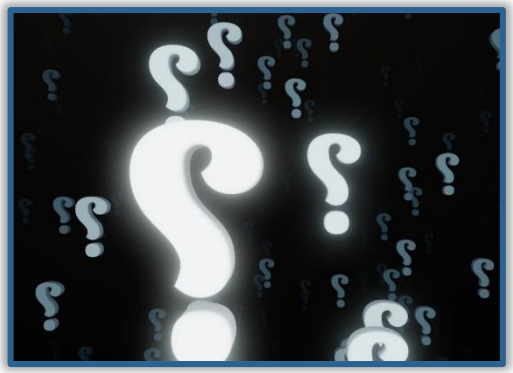

من الطبيعي، والحالة هذه، أن تلحّ تساؤلات من قبيل ماذا بعد؟ وكيف ستتطور الأمور؟ وإلى متى؟ وبتأثير تعدّد الآراء في إطار وحدة الإجماع الإسرائيلي، يمكن الوقوف عند تقديرات تشير إلى الملامح المستقبلية لتوجهات الإسرائيليين ولصيرورة الصراع.

[72] روغل ألفر רוגל אלפר، إسرائيل تتذكر المحرقة أكثر من اللازم ישראל זוכרת את השואה יותר מדי، **هآرتس**، 2024/5/6، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-05-06/ty-article-opinion/.premium/0000018f-486a-d17f-adcf-f9eb8d910000 (باللغة العبرية)

ففي تصوّر يولي تمير Yuli Tamir יולי תמיר، وزيرة تعليم سابقة، "إنّ القصف الإسرائيلي للمدارس في قطاع غزة تجاوز الحدود، وإن الصور من هناك سوف تُطارِد كلّ إسرائيلي".[73]

ويتوقع جدعون ليفي "أن قتل آلاف البشر، وتحويل الآلاف غيرهم إلى مشلولين وعاجزين، لن يقدم أيّ خدمة للمصالح الإسرائيلية، حتى لو جرت تنحية مسائل الأخلاق والقانون جانباً، فهنا ستنبت كراهية ورغبة في الانتقام".[74]

وفي مقال آخر، يؤكد جدعون ليفي أنه "في نهاية هذه الحرب ستجد إسرائيل نفسها في وضع أسوأ مما كان عشية اندلاع الحرب". ويضيف: "إن شرعية الشر ستبقى لدينا بعد الحرب، وإن شرعنة ارتكاب جرائم حرب ستبقى معنا، ومن الآن فصاعداً سيكون كل شيء مسموحاً به في الضفة الغربية ولاحقاً في إسرائيل أيضاً".[75]

ويستكمل جدعون ليفي هذا "السيناريو"، فيكتب تكهنات في موضع آخر:

> سنجزّ العشب في غزة كل عامين.. سنعدم جيلاً بعد جيل من الشباب.. سنسجن آلاف الأشخاص في معسكرات الاعتقال.. وسنُرحّل ونخفف العدد وننهب، وبالطبع سنقتل.. لقد بدأنا بعمليات القتل الجماعي في قطاع غزة، وسوف تمر أجيال قبل تعافيه، هذا إن حدث

---

[73] يولي تامير יולי תמיר، في الحرب المدارس محظورة.. ألا يوجد قائد واحد سيقول "حتى هنا"؟ במלחמה בתי ספר הם מחוץ לתחום. האם אין מפקד אחד שיגיד "עד כאן"؟، **هآرتس**، 2024/8/12، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2024-08-12/ty-article-opinion/.premium/00000191-4205-d2c9-af99-66a586ac0000 (باللغة العبرية)

[74] جدعون ليفي גדעון לוי، حتى مجزرة حماس الفظيعة لا تسوّغ كل شيء. يكفي غم הטבח הנורא שעשה חמאס לא מצדיק הכל. די!، **هآرتس**، 2023/10/19، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2023-10-19/ty-article-opinion/.premium/0000018b-4233-d881-abab-efbbe0ad0000 (باللغة العبرية)

[75] جدعون ليفي גדעון לוי، شرعية الشر ستبقى معنا حتى بعد الحرب הלגיטימיות של הרוע תישאר איתנו גם אחרי המלחמה، **هآرتس**، 2024/12/31، في: https://www.haaretz.co.il/opinions/2023-12-31/ty-article-opinion/.premium/0000018c-bbe7-d45c-a98e-bbef67410000 (باللغة العبرية)

ذلك.. والآن نتجه إلى الضفة الغربية، وسنريق الدماء هناك أيضاً، إذا لم يوجد من يوقف الميليشيات".[76]

هم إذاً يدركون أنهم سيظلون يولغون بدماء الفلسطينيين، فهل هذا يأتيهم بالانتصار؟! تجيب الكاتبة عميره هاس بنظرة ثاقبة مستشرِفة نتيجة أخرى مفادها أن:

إسرائيل هُزمت وتُهزم وسترفرف الهزيمة إلى جانب الشمعدان والعلم أبداً، ليس لأنها لم تفكك حماس، بل لأن زعماء وقادة وجنود إسرائيل قتلوا وأصابوا عشرات آلاف المدنيين الفلسطينيين وزرعوا الدمار غير المسبوق في قطاع غزة، ولأن سلاح الجو ألقى بشكل متعمد قنابل على بيوت مليئة بالأطفال والنساء والشيوخ، ولأن إسرائيل تؤمن بأنه لا طريقة أخرى، ولأن عائلات كاملة أبيدت، ولأن كتائب من رجال القانون الذين وجدوا التوازن في كل قنبلة تقتل الأطفال، هم الذين يقدمون الدرع الواقي للقادة.[77]

المغزى الكامن وراء النتيجة المذكورة يتلخص بأن الاتجاه الراهن، الذي جعلت فيه "إسرائيل" قطاع غزة منطقة مستباحة تفعل بها ما تريد، اتَّخذ مساراً مفتوحاً على مزيد من أعمال قتل الفلسطينيين التي صارت "روتيناً" في القطاع وفي الضفة الغربية وخارجهما، بفعل استمرار الأسباب والاعتبارات التي تنتجها.

وبالمقابل، إن استحالة حسم "إسرائيل" للصراع مع الفلسطينيين سيقود إلى جولات أخرى، لأن حرب الإبادة الإسرائيلية على الفلسطينيين ستظل جزئية مهما اشتدت، ولن تتمكن من حذفهم من الوجود، وسيترتب على بقائهم استمرار مشروعهم الوطني بكل ما يقتضيه من أثمان.

---

[76] جدعون ليفي، هل سنقود سيارة وقودها الدم؟ إسرائيل تتحول بسرعة إلى دولة تعيش على الدم، **هآرتس**، 2024/9/15. (باللغة العبرية)

[77] عميره هاس עמירה הס، الدمار والقتل والمجاعة في غزة هزيمة لإسرائيل ההרס, ההרג והרעב בעזה הם תבוסתה של ישראל، **هآرتس**، 2024/6/1، في: https://www.haaretz.co.il/blogs/shabahit/2024-06-01/ty-article-opinion/.premium/0000018f-d49a-d5bc-a1bf-dfba635b0000 (باللغة العبرية)

خاتمة:

تقود دراسة حالة حرب الإبادة الإسرائيلية في قطاع غزة إلى أن خصائص المجتمع الإسرائيلي، والتنشئة الجارية فيه، والتفاعلات ضمنه، وعمليات نزع الشرعية عن الفلسطينيين، أنتجت بيئة اجتماعية جديدة، تؤدي فيها المرويات التناخية والتعاليم والفتاوى الحاخامية مهمة تأجيج نار الحرب، وهي مهمة تتكامل مع التصريحات الرسمية والمواقف العامة ومع أداء وسائل الإعلام الإسرائيلية، في إنتاج شعارات اتهامية حاقدة موجّهة ضدّ الفلسطينيين، وتسويق تخرصات، بشأن ما يلحق بهم من مآس.

وعلى قاعدة تراكمات دور المشروع الصهيوني ومفرزاته الاحتلالية في فلسطين بتوليد الصراع، كحتمية له، لا شكّ أن الفلسطينيين موجودون وسط ممر إجباري في هذا الصراع. وعلى الرغم من اختلال ميزان القوى المادي والعسكري لصالح "إسرائيل"، إلا أن الاستسلام الفلسطيني ليس مطروحاً كخيار، لأسباب ذاتية وموضوعية، تاريخية وجارية، وأن ما يمكن أن ينجم هذا الاختلال، في ظلّ تواطؤ أطراف عدة، هو نشوء حلّ تلفيقي، يلتفّ على صراع الوجود، ويدفع القضية الفلسطينية إلى محطات لا تقل إيلاماً وتعقيداً عما هو قائم حالياً.

ومن المسلَّم به أن متابعة القتل المنهجي الإسرائيلي في قطاع غزة خصوصاً، وللفلسطينيين عموماً، ينبغي أن ترفد طبقات الذاكرة الفلسطينية بمحفزات إضافية، لمواصلة الصمود والمقاومة في مواجهة المشروع الصهيوني، وأن تسهم في تزويد العدالة الدولية والرأي العام العالمي بالحقائق التي تُسقط الذرائع الواهية والادّعاءات والافتراءات الإسرائيلية.